محمد عجاج الخطيب

السنة قبل التدوين



الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الباب الثالث

الوضع في الحديث ...

الفصل الأول : ابتداء الوضع وأسبابه .

الفصل الثاني : جهود الصحابة والتابعين ومن تبعهم في مقاومة الوضع وحفظ الحديث .

الفصل الثالث : آراء بعض المستشرقين وأشياعهم في السنة ونقدها .

الفصل الرابع : أشهر ما ألف في الرجال والموضوعات وهو ثمار جهود العلماء في المحافظة على الحديث .

الفصل الأول

ابتداء الوضع وأسبابه ..

أولا - ابتداء الوضع :

بقي الحديث النبوى صافيا لا يعتريه الكذب ، ولا يتناوله التحريف والتلفيق طوال اجتماع كلمة الأمة على الخلفاء الأربعة الراشدين ، قبل أن تنقسم إلى شيع وأحزاب ، وقبل أن يندس فى صفوفها أهل المصالح والأهواء ، وكانت البادرة الأولى التى ترتبت عليها الاضطرابات الكثيرة فى القرن الهجرى الأول هى فتنة عثمان رضى الله عنه واستشهاده ، فقد هزت العالم الإسلامى هزة عظيمة ، وأورثت الأمة عواقب وخيمة ، امتدت آثارها إلى يومنا ، ثم اجتمعت — بعد الفتنة — كلمة المسلمين على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، إلا أن الأحداث كانت أقوى من أن تفسح للهدوء والسلام سبيلهما إلى الدولة آنذاك ، فحصل انقسام كبير فى صفوف الأمة ، تجسم فى معسكر أمير المؤمنين على الذى انطوى تحت جناحه أهل الحجاز والعراق ، ومعسكر أمير الشام معاوية الذى انضم إليه أكثر أهلها وأهل مصر .

وقد جر هذا الإنقسام على الأمة الحروب الطاحنة ، وما لبث أن انتهى بالتحكيم الذى كان سبباً لظهور فرق سياسية مختلفة [1] ، فالجمهور يؤيدون عليا

---

(١) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن ابراهيم ص ٢٦٨ ج ١ ، والتبصير فى الدين ص ٦ ، وفجر الإسلام ص ٢٥٦ .

رضى الله عنه ، لأنه الخليفة الذى بايعته الأمة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه ، وحزب معاوية قام مطالبا بدم عثمان ، وانتهى به الأمر إلى طلب الخلافة ، وممارسة الحكم فعلا بعد التحكيم ، والخوارج قوم من شيعة أمير المؤمنين على انشقوا عنه لأنه قبل التحكيم ونادوا (لا حكم إلا لله) ، ونقموا على معاوية لأنه يريد أن يتولى أمر المؤمنين ، وهذا لا يكون إلا بالشورى بينهم ، وكان هؤلاء أشداء أقوياء ، جلهم من العرب الجفاة القساة ، وكان لأمير المؤمنين على رضى الله عنه معهم مواقع كثيرة وحروب دامية مدة خلافته ، كما كان لهم أثر بعيد فى إقلاق مضاجع خلفاء بنى أمية طيلة الحكم الأموى .

وبعد استشهاد على رضى الله عنه قام بعض شيعته يطالبون بحقهم فى الخلافة .

وهكذا نشأت الأحزاب والفرق التى اتخذت شكلا دينياً كان له أبلغ الأثر فى قيام المذاهب الدينية فى الإسلام[1] . وقد حاول كل حزب أن يدعم ما يدعى بالقرآن والسنة ، ومن البدهى ألا يجد كل حزب ما يؤيد دعواه فى نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فتأول بعضهم القرآن ، وفسروا بعض نصوص الحديث بما لا تحتمله ، إلا أن هذا لم يحقق ما يرمون إليه ، ولم يجد بعضهم إلى تحريف القرآن أو تأويله سبيلا ، لكثرة حفاظه ، فتناولوا السنة بالتحريف وزادوا عليها ، ووضعوا على رسول الله ما لم يقل[2] ، ونشطت حركة الوضع مع الزمن ، حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضوع ، وظهرت أحاديث موضوعة فى فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم من رؤساء الفرق وزعماء الأحزاب ، ثم ظهرت

---

(١) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٨٩
(٢) انظر اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

أحاديث صريحة فى دعم المذاهب السياسية والفرق الدينية ، وكانت الأحاديث الموضوعة تولد مع ظهور الفرق ، فينبرى من يضع أحاديث تنتقص تلك الفرق ، كما يقف الواضعون من الخصوم للدفاع عنها وهكذا ، حتى تكونت مجموعة من الأحاديث الموضوعة التى كشف عنها جهابذة هذا العلم ورجاله ، ولم يقتصر الوضع على فضائل الأشخاص ، ودعم الآراء والأفكار العقائدية والمذاهب السياسية ، بل تعداها إلى مختلف أبواب الحديث ، وكادت الأحاديث الموضوعة تتناول جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة ، فوضعت أحاديث فى الفضائل والمثالب ، وأحاديث فى مناقب البلدان والأيام ، وأخرى فى العبادات المختلفة وفى المعاملات والأطعمة والأدب والزهد ، والذكر والدعاء ، وفى الطب والمرض والفتن والمواريث وغيرها .

ويجدر بنا أن نبين أن الوضع لم يصل إلى ذروته فى هذا القرن ، لأنه نشأ قبل منتصف القرن الهجرى الأول بقليل ، وسرعان ما كان يعرف الحديث الموضوع لكثرة الصحابة والتابعين الذين عرفوا الحديث وحفظوه ، ولم يؤخذوا بأراجيف الكذابين ، وأخبار الوضاعين ، هذا إلى أن أسباب الوضع فى ذلك القرن لم تكن كثيرة ، وكانت الأحاديث الموضوعة تزداد بازدياد البدع والفتن ، وكان الصحابة وكبار التابعين وعلماؤهم فى معزل عنها .

ويصور لنا الإمام ابن تيمية ذلك فى قوله : « والصحابة رضى الله عنهم كانوا أقل فتنا من سائر من بعدهم ، فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف ، ولهذا لم يحدث فى خلافة عثمان بدعة ظاهرة ، فلما قتل وتفرق الناس حدثت بدعتان متقابلتان بدعة الخوارج المكفرين لعلى ، وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته أو نبوته

أو إلاهيته[1] ، ثم لما كان آخر عصر الصحابة فى إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدرية . ثم لمـا كان فى أول عصر التابعين ، فى أواخر الخلافة الأموية ، حدثت بدعة الجهمية والمشبهة الممثلة ، ولم يكن على عهد الصحابة شىء من ذلك ، وكذلك فتن السيف ، فإن الناس كانوا فى ولاية معاوية رضى الله عنه متفقين يغزون العدو ، فلما مات معاوية قتل الحسين ، وحوصر ابن الزبير بمـكة ، ثم جرت فتنة الحرة بالمدينة[2] ، ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط ، ثم وثب المختار على ابن زياد فقتله وجرت فتنة ، ثم جاء مصعب بن الزبير فقتل المختار وجرت فتنة ، ثم ذهب عبد الملك إلى مصعب فقتله وجرت فتنة ، وأرسـل الحجاج إلى ابن الزبير فحاصره مدة ثم قتله وجرت فتنة ، ثم لمـا تولى الحجاج العراق خرج عليه محمـد ابن الأشعث مع خلق عظيم من العراق وكانت فتنة كبيرة ، فهذا كله بعد موت معاوية ، ثم جرت فتنة ابن المهلب بخراسان ، وقتـل زيد بن على بالـكوفة وقتل خلق كثير آخرون ، ثم قام أبو مسلم وغيره بخراسان وجرت حروب وفتن يطول وصفها[3] .

وعلى هذا فإنا نستبعد ظهور الوضع قبل الفتنة ، كما نستبعد تطوع أحد من الصحابة بوضع الحديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعقل أن أن يتصور مسلم الصحابة الأجلاء ، الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم فى سبيل الله

---

(١) على اختلاف الرافضة فى ذلك بحسب فرقهم وما ذهبت إليه كل فرقة منهم .

(٢) وقعة الحرة مشهورة كانت سنة ثلاث وستين أيام خلافة يزيد بن معاوية ، وسميت بذلك نسبة إلى « حرة واقم » قرب المـدينة . انظر هامش صفحة : ٢٩٣ من المنتقى من منهاج الاعتدال .

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٨٦ ــ ٣٨٧

ودافعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهجروا أوطانهم وقاسوا ألوان العذاب ، ومرارة العيش استجابة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، لا يعقل أن يتصورهم يفترون ويكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهم الذين نشؤوا فى رعايته ، وتخرجوا فى جامعته ، ونهلوا من معينه ، وتأسوا بعمله ، فكانوا على جانب عظيم من التقى والورع والخشية ، لذلك ننفى إقدام الصحابة الكرام على الكذب على رسول الله .

وإن ما نقله بعض أهل الأهواء — من أن بعض الصحابة والتابعين كانوا يضعون فى على عليه السلام الأخبار القبيحة التى تقتضى الطعن فيه والبراءة منه ، إرضاء لمعاوية الذى (جعل لهم على ذلك جُعلا يرغب فى مثله فاختلقوا ما ارضاه . منهم : أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير [١]) إن ما نقله هؤلاء وغيرهم لا يرقى إلى الصحة ، وتاريخ الصحابة ينفى هذه الادعاءات ويدحض مثل هذه المزاعم .

وإن الواقع التاريخى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ينفى كل افتراء على الصحابة فى هذا الموضوع ، والصحابة أسمى بكثير من أن يخوضوا فى الكذب والوضع ، وهم الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطن كثيرة قوله : « مَنْ تعمدَ عليَّ كذبا فليتبوأْ مقعدَهُ من النار [٢] » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن كذباً عليَّ ليسَ ككذبٍ على أحدٍ ،

---

(١) نقله ابن أبى الحديد من شيخه أبى جعفر الإسكافى ، انظر شرح نهج البلاغة طبعة بيروت ص ٤٦٧ جـ ١ وقد رددنا رداً مفصلا على هذا الادعاء فى الفصل الثانى من (أبى هريرة) ، وانظر كتابنا « أبو هريرة راوية الإسلام » .

(٢) أخرجه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارقطنى وأخرج نحوه الإمام أحمد انظر تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٢ .

مَنْ كذب عليَّ فليتبوأ مقعدَهُ مِنَ النارِ[1] ، فلا يعقل أن يقدم أحد من الصحابة — بعد أن عرف جزاء الكذب على رسول الله — على وضع واختلاق ما لم يقله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعقل أن يجازف أحد منهم بالنور النبوى الذى خالط قلبه وروحه ، فيطفئه بوضع حديث فى سبيل دعم فكرة أو للانتصار لحزب أو للتقرب من شخص ، وإن أية محاولة فى سبيل إثبات الوضع من قبل الصحابة ستبوء بالفشل ، لكثرة الأدلة القاطعة على ورعهم وخشيتهم وبعدهم عن المعاصى ، واعتزال أكثرهم الفتن وابتعادهم عن الضلالات والبدع ، بل إن الأدلة على أنهم كانوا حفظة للشريعة يذبون عن السنة التحريف والتأويل أكثر من أن تحصى ، ولو فرضنا جدلا وقوع الوضع من بعض الصحابة — وهذا بعيد — فإن ذلك سينكشف أمره وينتقل إلينا كما انتقلت أخبار كثير من الحوادث الجليلة والدقيقة[2] ويقوى هذا عندنا ، ذلك الوعى الرفيع الذى كان يتميز به الصحابة وكبار التابعين ، إلى جانب رسوخهم فى الحديث النبوى الشريف ، الذى يسهل عليهم معرفة الصحيح من الموضوع ، ووراء هذا كله جرأتهم

---

(١) أخرجه الشيخان والترمذى عن المغيرة بن شعبة ، أنظر تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٢ : ب .

(٢) وقد ذكر لنا المؤرخون والمحدثون حادثة واحدة كذب فيها رجل على رسول الله فكان مصيره الموت : اخرج الطبرانى فى الأوسط عن عبد الله بن عمرو أن رجلا لبس حلة مثل حلة النبى صلى الله عليه وسلم ثم أتى أهل بيت من المدينة فقال : إنه عليه الصلاة والسلام أمرنى أى أهل بيت من المدينة شئت استطلعت ، فأعدوا له بيتا وأرسلوا رسولا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه ، فقال : لأبى بكر وعمر انطلقا إليه فان وجدتماه حيا قد كفيتماه ، ولا أراكما إلا قد كفيتماه ، فحرقاه ، فأتياه فوجداه قد خرج من الليل يبول فلدغته حية فمات ، فحرقاه بالنار ثم رجعا إليه صلى الله عليه وسلم فأخبراه الخبر ، فقال عليه السلام : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . انظر : تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٤ : ب . وفى سنده عطاء بن السائب قد اختلط . انظر مجمع الزوائد ص ١٤٥ ج ١ .

المثالية فى الحق ، وهى جرأة لم ترض لهم أن يسكتوا عن آبائهم وأعز الناس إليهم إذا انحرفوا عن سواء السبيل ، ولم يكن يخيفهم آنذاك سلطان الحاكم ، ولا نفوذ القوى ، بل كثيرا ما كانوا يعترضون على الحكام والعلماء وغيرهم ، يبينون وجه الحق ، لا يخافون فيه لومة لائم . وإن التاريخ الإسلامى ليعتز بذلك الجيل الذى تمثل الإسلام ، وعمل به فكان قدوة حسنة للأجيال التالية ، وإن هذا كله ليدفع كل شبهة تحوم حول إيقاع الصحابة فى نار الوضع(١) .

وكما نفينا عن الصحابة انغماسهم فى الوضع ننفى عن كبار التابعين وعلمائهم ذلك أيضا ونقرر أنه إذا حصل الوضع فى النصف الأول من القرن الهجرى الأول ، فإنما صدر عن بعض المستهترين الجاهلين من طبقة التابعين وأتباع التابعين ، الذين حملتهم الخلافات السياسية والأهواء الشخصية على انتحال الكذب ، ووضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى هذا العصر — عصر التابعين — كان الوضع أقل من الوضع فى عصر أتباع التابعين ، لكثرة الصحابة والتابعين الذين مارسوا السنة وبينوا السقيم من الصحيح ، ولعدم تفشى التحلل والكذب فى الأمة ، لقربها من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ لا تزال متأثرة بتوجيهاته ، محافظة على وصاياه ، تعمها التقوى والورع والخشية ، كل هذا خفف من انتشار الكذب والوضع ، إلى جانب أن دواعى الوضع وأسبابه كانت ضيقة محدودة فى نشأتها الأولى ، ثم كثرت وازدادت فيما بعد .

---

(١) لقد سبق أن بينت أن الصحابة كانوا لا يكذبون فى عهد الرسول وبعد وفاته فى بحث (تلقى الصحابة السنة من الرسول الكريم) صفحة : ٥٧ وكيف كانوا يصدق بعضهم بعضا ، وانظر المحدث الفاصل ص ٣٢ : ب ـ ٣٣ : آ والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢ : آ

ونرى الأحاديث الموضوعة قد ظهرت بكثرة فى العراق ، حيث قامت أكثر الفتن والحوادث فى هذا الإقليم ، كما نشأت بذور الفرق الدينية فيه ، وكادت ثقة المحدثين تفقد بعلماء هذا القطر ، لولا قيام نقاد الحديث ورجاله وعلمائه بالكشف عن الكذابين ، وبيان أحوالهم وتتبعهم .

وقد اشتهرت العراق بالوضع حتى سميت « دار الضرب » تضرب فيها الأحاديث كما تضرب الدراهم ، وكان أهل المدينة يتوقون أحاديثهم ، وكان مالك يقول : « نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب : لا تصدقوهم ولا تكذبوهم . وقال له عبد الرحمن بن مهدى : يا أبا عبد الله ، سمعنا فى بلدكم — (المدينة) — أربعمائة حديث فى أربعين يوما ، ونحن (أى فى العراق) فى يوم واحد نسمع هذا كله ، فقال له : يا عبد الرحمن ، من أين لنا دار الضرب التى عندكم ؟ دار الضرب تضربون بالليل وتنفقون بالنهار[١] » وقال ابن شهاب : « يخرج الحديث من عندنا شبرا فيعود فى العراق ذراعا[٢] » وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لجماعة من أهل العراق جاؤوا يسألونه أن يحدثهم: « إن من أهل العراق قوماً يَكْذِبُون ويكذّبون ويسخرون[٣] » .

* * *

ثانياً — أسباب الوضع

ذكرت فيما سبق أن أسباب الوضع الرئيسية هى انقسام الأمة إلى أحزاب سياسية ، اتخذت شكلا دينياً ، وحاول كل حزب أن يدعم موقفه ويؤيد آراءه

---

(١) المنتقى من منهاج السنة ص ٨٨ ، ثم قال ابن تيمية بعد هذا : (ومع هذا إنه كان فى الكوفة وغيرها من الثقات الأكابر كثير .)

(٢) ضحى الاسلام ص ١٥٢ ج ٢

(٣) طبقات ابن سعد ص ١٣ قسم ٢ ج ٤

بوضع أحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدادت الأسباب التي كان لها أثر بعيد في وضع الحديث ، ونجمل هذه الأسباب فيما يلي :

١ — الأحزاب السياسية :

كان أول ما ظهر عقب فتنة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه شيعة الإمام على ، وحزب معاوية ، ثم ظهر الخوارج بعد وقعة « صفين » ، وسنتناول بإيجاز أثر كل حزب فى وضع الحديث .

(أ) أثر الشيعة وخصومهم فى وضع الحديث :

قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة : « إن أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة ، فإنهم وضعوا فى مبدأ الأمر أحاديث مختلفة فى صاحبهم ، حملهم على وضعها عداوة خصومهم . فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث فى مقابلة هذه الأحاديث[١] » .

ومما يؤسف له أن بعض أهل الأهواء وأعداء الإسلام اتخذوا التشيع ستاراً لتحقيق أهوائهم ، والوصول إلى مآربهم ، فكان كثير من الفتن يقوم باسمهم ، فنكب أهل البيت نكبات متوالية ، ذهب ضحيتها خيرة أبناء أمير المؤمنين على رضى الله عنه وأحفاده ، وسجل لهم التاريخ مآسى تنفطر لها القلوب ، وتقشعر لها الأبدان ، كل ذلك بسبب استغلال أعداء الدين اسم أهل البيت ، وهؤلاء المستغلون هم الذين وضعوا الأحاديث فى سبيل تأييد حركاتهم وشجعوا على وضعها[٢] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ص ٢٦ ج ٣ .

(٢) من هذا ما روى عن أبى أنس الحرانى قال : قال المختار (الثقفى) لرجل من أصحاب الحديث — : ضع لى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كائن بعده خليفة مطالبا له بترة ولده ، وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم فقال له الرجل : أما عن النبى صلى الله —

وإنا لا نتصور قط أن يوافق الحسن أو الحسين أو محمد بن الحنفية أو جعفر الصادق أو زيد بن علي وغيرهم من أهل البيت على الكذب على رسول الله جدهم وهم على جانب عظيم من الورع والتقى والصفاء ، وإن أهل البيت لأرفع بكثير من أن يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لهذا أحببت أن أبين من أول هذا البحث أن أهل البيت براء من هذا كله ، وإنما حمل إثم الوضع باسمهم من لف حولهم من شيعتهم ، وكثر الوضع ، وأساؤوا إلى إمامهم علي رضي الله عنه أكثر مما أحسنوا إليه بذلك ، قال أبو الفرج بن الجوزي : « فضائل علي الصحيحة كثيرة ، غير أن الرافضة لا تقنع ، فوضعت له ما يضع ، لاما يرفع[1] » .

وقد كثر الوضع منهم حتى أساءوا إلى سمعة العراق ، وأصبح أهل المدينة يتوقون حديثهم ، (وصار الأمر يشتبه على من لا يميز بين هذا وهذا ، بمنزلة الرجل الغريب إذا دخل إلى بلد نصف أهله كذابون خوانون ، فإنه يحترس منهم حتى يعرف الصدوق الثقة[2] ..) ، وقال أحد أصحاب علي رضي الله عنه : « قاتلهم الله ! أي علم أفسدوا[3] » ، وقال عامر الشعبي : « ما كُذِبَ على أحد في هذه الأمة ما كُذِبَ على علي رضي الله عنه[4] . » ، ويقول ابن تيمية : « وكَذِبُ الرافضة مما يضرب به المثل[5] » ، وقال ابن المبارك : « الدين لأهل الحديث ، والكلام والحيل لأهل الرأي ، والكذب للرافضة[6] » ، و « سئل

= عليه وسلم فلا ، ولكن اختر من شئت من الصحابة ، وحط لي من الثمن ما شئت ، قال : من النبي صلى الله عليه وسلم أو كد ، والعتاب عليه أشد . انظر اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ نقله من ابن الجوزي .

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠

(٢) المرجع السابق ص ٨٨

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٣ ج ١

(٤) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١

(٥ و ٦) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠ .

مالك رضى الله عنه عن الرافضة ، فقال : لا تكلموهم ، ولا تروعنهم ، فإنهم يكذبون[١] » ، وقال الشافعى : « لم أر أحـــدا أشهد بالزور من الرافضة[٢] » ، وقال يزيد بن هارون : « يكتب عن كل مبتدع — إذا لم يكن داعية — إلا الرافضة ، فإنهم يكذبون[٣] » ، وقال حماد بن سلمة : « حدثنى شيخ لهم تاب — يعنى الرافضة — قال : كنا إذا اجتمعنا ، فاستحسنا شيئا — جعلناه حديثا[٤] » .

وقد صنع الشيعة أحاديث كثيرة ، وحرفوا بعض الأحاديث حسب أهوائهم وفرقهم التى كانت تزداد يوما بعد يوم ، فوضعوا أحاديث فى مناقب على رضى الله عنه ، وأخرى وضعوها فى مثالب معاوية والأمويين ، وكتب الموضوعات مملوءة بأكاذيبهم ، وسنذكر بعض ما وضعوا على سبيل المثال ، ونبين أثره فى الأحزاب المعادية لهم .

وكان يهم الشيعة إثبات وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى بالخلافة من بعده ، فوضعوا كثيراً من الأحاديث فى هذا ، منها : «وصيى ، وموضع سرى ، وخليفتى فى أهلى ، وخير من أخلف بعدى — على[٥] » و « يا على ، أخصك بالنبوة ولا نبى بعدى[٦] . » و« إن لـكل نبى وصيا ووارثا ، وإن وصيى ووارثى على بن أبى طالب[٨] »وحديث « لما أن عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم أراه الله من

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢١ ، وانظر الـكفاية ص ١٢٦ .
(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢١ ، وانظر الـكفاية ص ١٢٦
(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٢ وانظر الجرح والتعديل ص ٢٨ قسم ١ ج ١
(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨ : ب واللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢
(٥) الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٣٦٩
(٦) اللآلىء المصنوعة ص ٣٢٣ ج ١
(٧) اللآلىء المصنوعة ص ٣ ج ١

العجائب فى كل سماء ، فلما أصبح جعل يحدث الناس من عجائب ربه ، وكذبه من كذبه من أهل مكة ، وصدقه من صدقه ، فعند ذلك انقض نجم من السماء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فى دار من وقع هذا النجم فهو خليفتى من بعدى ، وطلبوا ذلك النجم فوجدوه فى دار على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال أهل مكة : ضل محمد وغوى ، وهوى أهل بيته ، ومال إلى ابن عمه ، فعند ذلك نزلت هذه السورة « والنجم إذا هوى . . ! ![1] » وحديث « خُلقت أنا وعلى من نور ، وكنا على يمين العرش . . .[2] » وافتنوا فى وضع الأحاديث كما يحبون ويهوون ، من ذلك « ستكون فتنة ، فإن أدركها أحد منكم فعليه بخصلتين : كتاب الله وعلى بن أبى طالب . . . . وهو خليفتى من بعدى[3] » ، و « من لم يقل على خير الناس فقد كفر[4] » ، و « النظر إلى على عبادة[5] » ، و « حب على يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب[6] » ، و « من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه ، ونوح فى فهمه ، وإبراهيم فى حكمه ، ويحيى فى زهده ، وموسى فى بطشه — فلينظر إلى على[7] » ، و « من مات وفى قلبه بغض لعلى بن أبى طالب — فليمت يهوديا أو نصرانيا[8] » ، وحديث « مثلى مثل شجرة ، أنا أصلها ، وعلى فرعها ، والحسن والحسين ثمرتها ، والشيعة ورقها ، فأى شىء يخرج من الطيب إلا الطيب[9] » ، و حديث : « من أحبنى فليحب عليا ، ومن أبغض عليًّا

---

(١) الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٣٦٩ وانظره فى المنتقى من منهاج السنة ص ٤٢٦ وفى رواية « فهو الوصى من بعدى » ، واختراع اسطورة الوصى كانت من عند عبد الله بن سبأ انظر هامش الصفحة ٣٠٧ من المنتقى من منهاج السنة .

(٢) الفوائد المجموعة ص ٣٤٢

(٣) الفوائد المجموعة ص ٣٤٥

(٤) الفوائد المجموعة ص ٣٤٧

(٥) المرجع السابق ص ٣٥٩

(٦) المرجع السابق ص ٣٦٧

(٧) المرجع السابق ص ٣٦٧

(٨) الفوائد المجموعة ص ٣٧٣

(٩) المرجع السابق ص ٣٧٩

فقد أبغضنى ، ومن أبغضنى فقد أبغض الله ، ومن أبغض الله أدخله الله النار[١] » ، وحديث : « يا على ، إن الله غفر لك ولذريتك ولوالديك ولأهلك ولشيعتك ولمحبى شيعتك[٢] » .

وإلى جانب هذا وضع الشيعة أخبارا بشعة تنال من أبى بكر وعمر وغيرهما يزعمون فيها إساءة هؤلاء الصحابة إلى على رضى الله عنه وأهله ، وفى هذا يقول ابن أبى الحديد : (فأما الأمور الشنيعة المستهجنة التى تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة . . . وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار . . . وجعل فى عنق على حبلا يقاد به فكله لا أصل له عند أصحابنا ولا يثبته أحد منهم ، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه ، وإنما هو شىء تنفرد الشيعة بنقله[٣]) .

لقد رأى بعض الوضاعين من الأحزاب الأخرى أن هذه الأحاديث تنتقص أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، فوضعوا مقابلها أحاديث أخرى ترفع من شأن الشيخين ومعاوية ، من ذلك الحديث الموضوع : « لما عرج بى إلى السماء قلت : اللهم اجعل الخليفة من بعدى على بن أبى طالب ، فارتجت السموات ، وهتف بى الملائكة من كل جانب ، يا محمد اقرأ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ، قد شاء الله أن يكون من بعدك أبو بكر الصديق[٤] » ، وما روى عن عبد الله بن جراد قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بفرس فركبه ثم قال : يركب هذا الفرس من يكون الخليفة بعدى ، فركبه أبو بكر[٥] » .

---

(١) الفوائد المجموعة ص ٣٨٣ (٢) المرجع السابق ص ٣٨٤
(٣) شرح نهج البلاغة ص ١٥٨ ـ ١٥٩ جـ ١ (٤) تنزية الشريعة المرفوعة ص ٣٤٥ جـ ١
(٥) المصدر السابق ص ٣٤٦ جـ ١

وحديث « أن أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني كنت معك في الصف الأول ، فكبرتَ وكبرتُ فاستفتحت بالحمد فقرأتُها ، فوسوس إليّ شيء من الطهور فخرجتُ إلى باب المسجدِ ، فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول : وراءك ، فالتفت ، فإذا أنا بقدح من ذهب مملوء ماء أبيض من الثلج وأعذب من الشهد ، وألين من الزبد ، عليه منديل أخضر مكتوب عليه لا إله إلا الله الصديق أبو بكر ، فأخذت المنديل فوضعته على منكبي ، وتوضأت للصلاة وأسبغت الوضوء ، ورددت المنديل على القدح ، ولحقتك وأنت راكع الركعة الأولى فتممتُ صلاتي معك يا رسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبشر يا أبا بكر ، الذي وضأك للصلاة جبريل ، والذي مندلك ميكائيل ، والذي مسك ركبتي حتى لحقت الصلاة إسرافيل[1] » وحديث « إن الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه ، فاسمعوا له تفلحوا ، وأطيعوه ترشدوا[2] » ، وحديث « عرج بي إلى السماء ، فما مررت بسماء إلا وجدت فيها إسمي مكتوباً محمد رسول الله ، وأبو بكر الصديق من خلفي[3] » ، وحديث « إن الله في السماء يكره أن يخطأ أبو بكر الصديق[4] » ، وحديث « لما أسرى بي رأيت في السماء خيلا موقوفة مسرجة ملجمة . . . رؤوسها من الياقوت الأحمر . . . ذوات أجنحة ، فقلت : لمن هذه ؟ فقال جبريل : هذه لمحبي أبي بكر وعمر ، يزورون الله عليها يوم القيامة[5] » ، وحديث عن

---

(١) الفوائد المجموعة ص ٣٣٠ ، وقد روى نحو هذا لعلي بن أبي طالب وفيه : ذكر السطل والمنديل ، والكل كذب موضوع . انظر الفوائد المجموعة ص ٣٣١

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٢

(٣) الفوائد المجموعة ص ٣٣٣

(٤) المرجع السابق ص ٣٣٥

(٥) تنزية الشريعة المرفوعة ص ٣٤٧ جـ ١ والفوائد المجموعة ص ٣٣٧

عبد الله بن أبي أوفى « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم متكئا على على ، وإذا أبو بكر وعمر أقبلا ، فقال : يا أبا الحسن أحبهما فبحبهما تدخل الجنة[١] » ، وحديث « إن في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحب أبا بكر وعمر ، وفي السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر[٢] » ، وحديث « ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين[٣] » .

ووضع بعض الكذابين من حزب معاوية بعض الأحاديث ، منها « أن جماعة من بني هاشم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحول الكتابة من معاوية ، فنزل الوحي باختياره[٤] » ، ووضعوا أحاديث مطولة في كتابته آية الكرسي وغيرها ، ذكرتها كتب الموضوعات ، منها « أنه صلى الله عليه وسلم أخذ القلم من يد علي فدفعه إلى معاوية[٥] » ، و « الأمناء عند الله ثلاثة : أنا وجبريل ومعاوية[٦] . » ، وحديث « أن النبي صلى الله عليه وسلم ناول معاوية سهما وقال : خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة[٧] » ، وما روى عن ابن عباس أنه « جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بورقة آس أخضر مكتوب عليها : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، حب معاوية فرض على عبادي[٨] » ،

---

(١) تنزية الشريعة المرفوعة ص ٣٤٧ جـ ١ والفوائد المجموعة ص ٣٣٨

(٢) الفوائد المجموعة ص ٣٣٨ (٣) المرجع السابق ص ٣٤٢

(٤) الفوائد المجموعة ص٤٠٣ وانظر تنزية الشريعة المرفوعة ص ١٩ جـ ٢ ذكره بطوله .

(٥) الفوائد المجموعة ص ٤٠٣

(٦) تنزية الشريعة المرفوعة ص ٤ ونحوه في ص ٦ جـ ٢

(٧) تنزيه الشريعة ص ٦ جـ ٢

(٨) المرجع السابق ص ٢١ جـ ٢

وحرف الشيعة حديث « اللهم اركسهما فى الفتنة ركساً ، اللهم دعهما إلى النار دعا[1] » فى أنه قيل فى معاوية وعمرو بن العاص حين كانا يتغنيان ، والواقع أنهما لم يفعلا شيئاً من هذا ، إنما قيل هذا فى معاوية بن رافع وعمرو بن رفاعة ابن التابوت ، فحرف الراوى الأسماء .

ووضع بعضُ المغرضين من أتباع حزب معاوية « . . ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ، إن فى جهنم كلاباً زرق الأعين ، على أعرافها شعر كأمثال أذناب الخيل ، لو أذن الله تعالى لكل منها أن تبلع السموات السبع فى لقمة واحدة لهان ذلك عليه ، تسلط يوم القيامة على من لعن معاوية بن أبى سفيان[2] » .

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة ، كلها من صنعة الأحزاب المتناوئة ، التى حاولت أن تدعم بها موقفها ، وترفع من قدر أصحابها وزعمائها ، وكان بوسع هؤلاء الابتعاد عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتفين بما للصحابة من فضائل ثابتة ، ولكن الهوى ساق بعضهم إلى ذلك والجهل أعمى قلوب بعضهم .

وقد رأى بعض ذوى النيات الحسنة ما كان من هذه الأحزاب ، وما دار بينهم من طعون مختلفة تناولت الصحابة ، وانتقصتهم وكادت تقضى على فضائلهم ، فدفعهم حبهم للصحابة جميعا إلى وضع أحاديث تذكر فضلهم ، وترفع من شأنهم ، وتبين أنه لا فرق بين الخلفاء الأربعة ، وقد ظن هؤلاء — بحسن نيتهم — أنهم يفعلون خيراً ، لأنهم يمنعون بوضع هذه الأحاديث اللعن التى

---

(١) تنزيه الشريعة ص ١٦ جـ ٢ ، والفوائد المجموعة ص ٤٠٧

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٢٣ جـ ٢

كان يتبادله أتباع كل صحابى ، ويقطعون دابر الشتم والسباب فيجمعون أمر الأمة وكأنهم لم يعلموا أنهم يفتئتون على رسول الله الكذب . ومن ذلك حديث : « إن الله أمرنى أن أتخذ أبا بكر والدا ، وعمر مشيرا ، وعثمان سندا ، وأنت يا على ظهيراً . أنتم أربعة ، قد أخذ الله لكم الميثاق فى أم الكتاب ، لا يحبكم إلا مؤمن تقى ، ولا يبغضكم إلا منافق مسىء ، أنتم خلفاء نبوتى ، وعقد ذمتى[١] » حديث « ينادى مناد يوم القيامة من تحت العرش : أين أصحاب محمد ؟ فيؤتى بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم[٢] » ، و « أبو بكر وزيرى ، والقائم فى أمتى من بعدى ، وعمر حبيبى ينطق على لسانى ، وأنا من عثمان وعثمان منى ، وعلى أخى وصاحب لوائى[٣] » ، و « أبو بكر أوزن أمتى وأرحمها ، وعمر بن الخطاب خير أمتى وأكملها ، وعثمان بن عفان أحيى أمتى وأعدلها ، وعلى بن أبى طالب ولى أمتى وأوسعها ، وعبد الله بن مسعود أمين أمتى وأوصلها ، وأبو ذر أزهد أمتى وأرقها ، وأبو الدرداء أعدل أمتى وأرحمها ، ومعاوية بن أبى سفيان أحلم أمتى وأجودها[٤] » . ، و « من شتم الصديق فإنه زنديق ، ومن شتم عمر فمأواه سقر ، ومن شتم عثمان فخصمه الرحمن ، ومن شتم عليا فخصمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم[٥] » ومن حديث طويل : « .. ثم قال — رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا لعنة الله على مبغضى أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى[٦] » .

وإذا رجعنا إلى كتب الموضوعات رأينا أن الشيعة قد أسرفوا فى الوضع أكثر من غيرهم .

(١ و ٢) الفوائد المجموعة ص ٣٨٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٨٦ .

(٤) الفوائد المجموعة ص ٤٠٩

(٥) المرجع السابق ص ٣٣٩

(٦) المرجع السابق ص ٣٣٨

(ب) الخوارج ووضع الحديث :

لم نعثر فى المراجع القريبة منا على ما يدل على وضع الخوارج للحديث ، أو على اعتمادهم على ذلك لدعم موقفهم وإثبات دعواهم ، اللهم إلا ما ذكر عن ابن لهيعة قال : سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع ، وهو يقول : « إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا[1] » . وما رواه عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم قال : « قال لى رجل من الخوارج : إن هذا الحديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، إنا كنا إذا هوينا أمرا جعلناه فى حديث[2] » . وما رواه السيوطى : « روى عن شيخ خارجى أنه قال : إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا[3] » .

هذه أخبار ثلاثة بمعنى واحد ، وطرق مختلفة ، تدل على وضع الخوارج للحديث . إلا أننا لم نجد دليلا يثبت عليهم هذا بين الأحاديث الموضوعة ، وربما كان عدم كذبهم هذا لاعتقادهم أن مرتكب الكبيرة كافر ، والكذب من الكبائر .

وهناك أدلة كثيرة على أنهم أصدق من نقل الحديث ، ومن هذا ما قاله ابن تيمية للرافضة فى الرد عليهم : « ونحن نعلم أن الخوارج شر منكم ، ومع هذا فما نقدر أن نرميهم بالكذب ، لأننا جربناهم ، فوجدناهم يتحرون الصدق لهم

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨ : ب وانظر المدخل للحاكم ص ١٩
(٢) المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٨٣ : آ
(٣) اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

وعليهم[١] » ، كما قال أيضا : « ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفيها بالكذب فى الشيعة أكثر منهم فى جميع الطوائف ، والخوارج مع مروقهم من الدين فهم من أصدق الناس حتى قيل إن حديثهم من أصح الحديث[٢] » . وقال أبو داود « ليس فى أصحاب الأهواء أصح حديثا من الخوارج[٣] » .

لابد لنا بعد هذا من مخرج لما روى عنهم من الكذب ، فالأخبار الأولى تدل على وقوع الوضع منهم ، باعتراف أحد شيوخهم ، إلا أننا لم نعرف هذا الشيخ !! وقد روى الخطيب عن حماد بن سلمة[٤] نحو حديث ابن لهيعة عن (شيخ من الرافضة) ، فى نفس الصفحة التى روى فيها خبر ابن لهيعة ، فيمكن أن يحمل على أنه خطأ من الكاتب أو الراوى . وإذا فرضنا أنه خطأ ، فما موقفنا من الخبرين الآخرين اللذين لا سبيل إلى تسرب الخطأ إليهما ؟ إلا أن الأخبار التى تدل على صدقهم تعارض هذه الروايات ، والبحث لا يؤدى إلى دليل يدين الخوارج بالوضع فلا بد من حمل تلك الأخبار على وهم الراوى : أن « الشيخ » خارجى ، وهو ليس كذلك . وأرْجَحُ من هذا أن الخبرين ضعيفان لجهالة « الشيخ » .

وأما ما روى عن عبد الرحمن بن مهدى : أن الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث « إذا أتاكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقَ كتابَ الله فأنا قلته . . » — فقد فند الدكتور مصطفى السباعى هذا القول ، وبين أنه

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٢

(٣) الكفاية ص ١٣٠

(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨ : ب

من وضع الزنادقة[1] . وهكذا يثبت أن الخوارج لم ينغمسوا في حمأة الوضع ، لما عرف عنهم من الورع والتقوى .

٢ — أعداء الإسلام (الزنادقة) :

لقد قوضت دولة الإسلام دولتي كسرى وقيصر ، وقضت على عروش الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون الشعوب الخاضعة لهم ، يذيقونها العذاب ويستنزفون خيراتها ، ويسترقون أبناءها ، وكان حول هؤلاء الحكام طبقة من الخواص والمستغلين ، الذين يفيدون من وراء أولئك الملوك والأمراء ، وكانت لهم وسائلهم الخاصة في استغلال رعاياهم ، فعندما انتشر الإسلام ، وخالط قلوب الأمم المظلومة ، والشعوب المغلوبة على أمرها من قبل رعاتها — تذوق هؤلاء نعمة الحرية ، وشعروا بالكرامة الإنسانية ، في حين أفلتت السلطة من يد الحكام ، وخسروا مناصبهم ، وضاعت تلك المنافع التي كانوا ينالونها باستغلال أبناء الشعب ، الذي عرف قيمة الحياة بعد أن حطم قيود الظلم باعتناق الإسلام ، ولم يرق الوضع الجديد أولئك المتسلطين ، فأضمروا الحقد والكيد للإسلام والمسلمين ، ولم يستطيعوا أن يحققوا آمالهم بقوة السيف ، لقوة الدولة الإسلامية ، فراحوا ينفرون المسلمين من العقيدة الجديدة ، بدس الأباطيل والأكاذيب السخيفة على رسول الله ، قاصدين من وراء ذلك إبعاد الناس عن الإسلام ، الذي حاولوا أن يصوروه أبشع الصور في عقائده وعباداته وأفكاره ، وظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة ، وتحت أسماء فرق متعددة ، إلا أنهم لم يوفقوا إلى

---

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٩٧ .

ما أرادوا ، وباءت محاولاتهم بالفشل أمام قوة الإسلام ، وسمو مقاصده ، وصفاء عقيدته .

وسنذكر أمثلة موجزة مما صنعوه ليضللوا أتباع الدين ، وينفروا منه من يحب اعتناقه ، فمن ذلك : ما رووه : « أن نفرا من اليهود أتوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا من يحمل العرش ؟ فقال : تحمله الهوام بقرونها ، والمجرّة التى فى السماء من عرقهم ، قالوا : نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] » . قال أبو القاسم البلخى : « هذا والله تقوّلٌ ، وقد أجمع المسلمون على أن الذين يحملون العرش ملائكة[٢] » ، وحديث « عن النبى صلى الله عليه وسلم : المجرّةُ التى فى السماء عرق الأفعى التى تحت العرش[٣] » . وقال أبو القاسم : « وما يستجيز أن يروى مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من لا يبالى بدينه ، ومتى قال المسلمون إن تحت العرش أفعى ؟ وهل يجوز أن يكون هذا إلا من دسيس الزنادقة ليقبحوا الإسلام[٤] » ؟ ، وحديث : « قيل : يارسول الله ، مم ربنا ؟ قال : من ماء مرور ، لامن أرض ولا سماء ، خلق خيلا فأجراها ، فعرقت ، فخلق نفسه من ذلك العرق[٥] » . إنه لا يضع مثل هذه الأحاديث مسلم ولا عاقل ! !

وإن هؤلاء لأشد ضررا وبلاء على الإسلام من غيرهم ، فقد كان منهم من يفحش فى الكذب والافتراء ، ومن هؤلاء عبد الكريم بن أبى العوجاء ، الذى اعترف قبل أن تضرب عنقه بوضعه الحديث ، فقال : « والله لقد وضعت فيكم

(١ و ٢ و ٣ و ٤) قبول الأخبار ص ١٤

(٥) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٤ ج ١

أربعة آلاف حـديث ، أحرم فيها الحـلال ، وأحل فيها الحرام[١] » وقال المهدى : « أقر عندى رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمائة حديث ، فهى تجول فى أيدى الناس[٢] » وقال حماد بن زيد : « وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إثنى عشر ألف حديث ، بثوها فى الناس[٣] » ، وفى رواية قال : « وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر ألف حـديث[٤] » .

إلا أن هذه الأحاديث لم تخف على رجال هذا العلم ، فبينوها وتتبعوا الـكاذبين الذين وضعوها .

٣ — التفرقة العنصرية والتعصب للقبيلة والبلد والإمام :

اعتمد الأمويون فى إدارة دولتهم وتسيير أمورها على العرب خاصة، وتعصب بعضهم للعرب والعربية ، وربما نظر بعض العرب إلى المسلمين من العناصر الأخرى نظرة لا توافق روح الإسلام ،حتى إن طبقة الموالى «وهم المسلمون من غير العرب» شعرت بهذه العنصرية ، فكانوا يحاولون المساواة بينهم وبين العرب وانتهزوا أكثر الاضطرابات والحركات الثورية فانضموا إليها فى سبيل تحقيق ذلك ،[٥]

---

(١) اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ . وعبد الـكريم هذا خال معن بن زائدة الشيبانى المعروف وقد أمر بضرب عنقه محمد بن سليمان بن على أمير مـكة وقال الذهبى فى الميزان : أمير البصرة ، انظر توضيح الأفكار ص ٧٥ ج ٢ ، وانظر ميزان الاعتدال ص ١٤٤ ج ٢ .

(٢) الـكفاية ص ٤٣١ ، واللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

(٣) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٢ ، والـكفاية ص ٤٣١

(٤) تدريب الراوى ص ١٨٦ وتوضيح الأفـكار ص ٧٥ ج٢ . وذكر عنه أربعة آلاف ، انظر اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ ، وأظن أنه خطأ مطبعى أو خطأ من الراوى .

(٥) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٣٤٢ ج ١

وإلى جانب هذا كانوا يبادلون العرب الاعتزاز والفخار ، فحملهم هذا على وضع أحاديث ترفع من قدرهم ، وتبين فضائلهم ، ومن ذلك حديث : « إن كلام الذين حول العرش بالفارسية ، وإن الله إذا أوحى أمرا فيه لين أوحاه بالفارسية ، وإذا أوحى أمرا فيه شدة أوحاه بالعربية[1] » فوضع مقابله حديث « أبغض الكلام إلى الله الفارسية ، وكلام الشياطين الخوزية ، وكلام أهل النار البخارية ، وكلام أهل الجنة العربية[2] » ، وحديث : « دعونى من السودان إنما الأسود لبطنه وفرجه[3] » .

ومنشأ وضع الأحاديث فى فضائل بعض القبائل العربية يرجع — فى غالب ظنى — إلى إثارة تلك العصبية القبلية التى ظهرت فى الدولة الأموية عقب وفاة يزيد بن معاوية[4] .

وكما وُضعت أحاديث فى الجنس والقبيلة واللغة وضعت أحاديثُ فى تفضيل البلدان والأئمة ، وأظن أن انتقال مركز إدارة الدولة الإسلامية من بلد إلى آخر كان له أثر بعيد فى دفع بعض المتعصبين إلى وضع الأحاديث فى فضائل بلدانهم أو أئمتهم .

ومما لا شك فيه أن التعصب للأئمة لم يظهر إلا فى القرن الثالث الهجرى ، ولم تبد هذه الظاهرة إلا من الأتباع الجاهلين ، فوُضعت أحاديث كثيرة فى فى فضائل البلدان منها : « أربع مدائن من مدن الجنة فى الدنيا : مكة ، والمدينة ،

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٦ ج ١

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٧ ج ١

(٣) المرجع السابق ص ٣١ ج ٢

(٤) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٣٣٧ ج ١

وبيت المقدس، ودمشق[١] ... » وفى الأئمة حديث: « يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتى من ابليس، ويكون فى أمتى رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتى[٢] »، و« سيأتى من بعدى رجل يقال له النعمان ابن ثابت ويكنى أبا حنيفة، ليحيين دين الله وسنتى على يديه[٣] ».

٤ — القصاصون :

ظهرت حلقات القصاصين والوعاظ فى أواخر عهد الخلافة الراشدة[٤]، وكثرت هذه الحلقات فيما بعد فى مختلف مساجد الأقطار الاسلامية[٥]، وكان بعض القصاص لا يهمه إلا أن يجتمع الناس عليه، فيضع لهم ما يرضيهم من الأحاديث التى تستثير نفوسهم، وتحرك عواطفهم، وقد كان معظم البلاء من هذا الصنف الذى يكذب على رسول[٦] الله صلى الله عليه وسلم، ولا يرى فى ذلك إثما ولا بهتانا.

ومما يؤسف له أن هؤلاء القصاص — على تعالمهم وكذبهم على رسول الله

---

(١) تنزية الشريعة المرفوعة ص ٤٨ ج ٢

(٢ و ٣) المرجع السابق ص ٣٠ ج ٢

(٤) استئذان تميم الدارى — صحابى مشهور — عمر رضى الله عنه ليقص على الناس فأبى عليه ولم يسمح له انظر ص ١٨ : ب من تمييز المرفوع من الموضوع. وعن نافع عن ابن عمر أنه لم يقص على عهد النبى صلى الله عليه وسلم، ولا على عهد أبى بكر ولا عمر ولا عثمان وإنما قص حين وقعت الفتنة انظر كتاب العلم المقدسى ص ٥٢، وانظر ذكر أخبار أصبهان ص ١٣٦ ج ١، طبع ليدن سنة ١٩٣١.

(٥) انظر الخطط للمقريزى ص ٢٤٦ و ٢٥٦ ج ٢ حيث يذكر بعض القصاص والمساجد التى كانوا يقصون فيها، وكذلك البيان والتبين ص ٣٦٨ ج ١

(٦) انظر اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٩ ج ٢

صلى الله عليه وسلم — قد وجدوا آذانا تسمع لهم وتصدقهم وتدافع عنهم ، وكان هؤلاء من جهلة العامة التى لايهمها البحث والتقصى .

ومما وضعه القصاص حديث : « إن فى الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ، ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت ، لا تروث ولا تبول ، ذوات أجنحة ، فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا[١] .. »

وقد قاوم رجال الحديث القصاص ، وبينوا كذبهم ، فلقوا من أتباعهم الإنكار والأذى ، وفى ذلك حوادث طريفة منها : أن الشعبى أنكر على أحد القصاص فى بلاد الشام ، فقامت عليه العامة تضربه ، ولم يدعه أتباع القاص حتى قال الشعبى برأى شيخهم نجاة بنفسه[٢] .

وكان رجال الحديث ينهون طلابهم وإخوانهم عن مجالسة القصاص ، من ذلك ما رواه عاصم قال : « كنا نأتى أبا عبد الرحمن السلمى ونحن غلمة أيفاع ، فكان يقول لنا : لا تجالسوا القصاص غير أبى الأحوص ، وإياكم وشقيقا ، قال وكان شقيق هذا يرى رأى الخوارج وليس بأبى وائل[٣] .

وكان بعض هؤلاء القصاص شحاذين يضعون من الحديث ما يرغب الناس فى الإحسان إليهم والعطف عليهم ، من هذا ما روى ابن الجوزى باسناده إلى أبى جعفر بن محمد الطيالسى ، قال : « صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة ، فقام بين أيديهم قاص فقال : « حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، قالا حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب ،

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٣٧٨ ج ٢

(٢) انظر تمييز المرفوع عن الموضوع ص ١٦ : ب ، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٠٠ ج ١

وريشه من مرجان !! وأخذ فى قصة نحوا من عشرين ورقة ، فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيي بن معين ، وجعل يحيي بن معين ينظر إلى أحمد ، فقال له : حدثته بهذا !؟ فيقول : والله ما سمعت هذا الا الساعة ، فلما فرغ من قصصه وأخذ العطيات ، ثم قعد ينتظر بقيتها ، قال له يحيي بن معين بيده : تعال ، فجاء متوهما لنوال ، فقال له يحيي : من حدثك بهذا الحديث ؟! فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ! فقال : أنا يحيي بن معين ، وهذا أحمد ابن حنبل ، ما سمعنا بهذا قط فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : لم أزل أسمع أن يحيي بن معين أحمق ، ما تحققت هذا إلا الساعة ! كأن ليس فيها يحيي بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟ وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيي بن معين !! فوضع أحمد كمه على وجهه ، وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستهزىء بهما[1] » !!

وكان من هؤلاء القصاص المتكسبين من يحفظون أسانيد مشهورة ، يكررونها كالببغاء ويلصقون بها ما يضعون من الأحاديث العجيبة بكل وقاحة وصفاقة وجه ، كما فعل القاص المذكور مع أحمد بن حنبل ويحيي بن معين ، وكما فعل قاص آخر حكى عنه أبو حاتم البستى جهله وكذبه ، قال أبو حاتم : دخلت مسجدا ، فقام بعد الصلاة شاب فقال : « حدثنا أبو خليفة : حدثنا أبو الوليد عن شعبة عن قتادة عن أنس ، وذكر حديثا ، قال أبو حاتم : « فلما فرغ دعوته ، قلت : رأيت أبا خليفة ؟ قال : لا ، قلت : كيف تروى عنه ولم تره ؟ فقال : إن المناقشة معنا من قلة المروءة ! أنا أحفظ هذا الإسناد ،

---

(١) الباعث الحثيث ص ٩٣ ــ ٩٤ ، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٩ : آ ــ ١٤٩ : ب ، وتمييزا لمرفوع عن الموضوع ص ١٦ : ب ، وتوضيح الأفكار ص ٧٦ ــ ٧٧ ج ٢

فكلما سمعت حديثاً ضممته إلى هذا الإسناد ! ![1] » .

وقد بين أيوب السختيانى أثر القصاص فى إفساد الحديث فقال : ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص وقال أيضاً : ما أمات العلم إلا القصاص[2] .

والأحاديث التى وضعها القصاص فى القرن الأول قليلة ، ازدادت فيما بعد ، وقد كشف عنها رجال هذا العلم وبينوا واضعيها وتتبعوهم حتى تميز الصحيح من الباطل .

٥ — الرغبة فى الخير مع الجهل بالدين :

بينت فيما تقدم أن بعض ما حدث من الفتن ، وما ترتب عليه من ظهور الفرق والأحزاب السياسية والدينية ، قد دفع هـذه الأحزاب إلى وضع الأحاديث لتأييد مذاهبهم ، ورفع شأن زعمائهم ، والحط من قيمة خصومهم ، وقد ظهر إثر هذا بعضُ الصالحين والزهاد والعباد ، الذين ساءهم هذا الإنشقاق وتفرقة الأمة ، فوضعوا الأحاديث يقربون فيها بين المتخاصمين ويرفعون قدر زعمائهم جميعا ، ومع الزمن ساء هؤلاء أن يروا إنشغال الناس بالدنيا عن الآخرة ، فوضعوا أحاديث فى الترهيب والترغيب حسبة لله[3] ، وقد حملهم جهلهم بالدين

---

(١) الباعث الحثيث ص ٩٣ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٧ : ب .

(٣) ومن هذا ما يرويه على بن المدينى أن جرير بن عبد الواحد روى أن عبد الله بن المسور كان « يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يضع إلا ما فيه أدب أو زهد ، فيقال له فى ذلك ، فيقول : إن فيه أجرا . » انظر ص ٧ – ٨ قبول الأخبار . وعبد الله بن المسور هو نفسه أبو جعفر المدائنى الهاشمى الذى أرسل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما =

على استساغة ما سولت لهم أنفسهم ليرغبوا الناس فى صالح الأعمال ، وكأن هذه الثروة من الأحاديث النبوية التى لا يدرك البيان وصفها — لم تشف صدورهم ، ولم ترو ظمأهم ، فراحوا يضعون الأكاذيب على رسول الله ، وإذا ما ذكّروا بقوله صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَذَبَ علىَّ متعمِداً فليتبوأ مقعَدهُ مِنَ النار » قالوا : نحن ما كذبنا عليه ، إنما كذبنا له[1] . ومن الغريب والمؤسف أن صلاحهم خدع العامة ، فكانوا يصدقونهم ويثقون بهم ، فكان خطرهم شديداً على الدين[2] ، بل هم أعظم ضرراً من غيرهم ، لما عرفوا به من الصلاح والورع والزهد ، الذى لا يتصور معه العامى إقدام مثل هؤلاء الصالحين على الكذب ، وفى هذا يروى محمد بن يحيى بن سعيد القطان عن أبيه قوله : « لم نر الصالحين فى شىء أكذب منهم فى الحديث[3] . » وقال أبو عاصم النبيل : « ما رأيت الصالح يكذب فى شىء أكثر من الحديث[4] » ، وفى رواية عن يحيى بن سعيد القطان : « ما رأيت الكذب فى أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد[5] » .

ومما وضعه الصالحون أحاديث فضائل السور ، وفى هذا يروى الحاكم بسنده

=هذا ليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمله الناس فى الدعاء ونحوه . انظر أيضا قبول الأخبار ص ١٥ وعبد الله بن المسور هذا هو الذى يروى عنه خالد بن أبى كريمة انظر ترجمة فى ميزان الإعتدال ص ٧٨ ج ٢ ترجمة (٥٦٣) وذكر الإمام مسلم هذا فى صحيحه : انظر مسلم بشرح النووى ص ١٠٧ ج ١ .

(١) انظر اختصار علوم الحديث ص ٨٦

(٢) انظر تدريب الراوى ص ١٨٤

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٩٤ ج ١ ، ونحوه فى مقدمة التمهيد ص ١٤ : آ ، وفى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٥٩ : آ

(٤) المحدث الفاصل ص ٨٣ : آ

(٥) اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

إلى ابى عمار المروزى أنه قيل لأبى عصمة نوح بن أبى مريم : « من أين لك ، عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة، ومغازى ابن اسحاق ، فوضعت هذا الحديث حسبة[1] » ، وقال ابن مهدى لميسرة بن عبد ربه : « من أين جئت بهذه الأحاديث : من قرأ كذا فله كذا ؟ قال : وضعتها أرغب الناس فيها[2] » ، وقال أبو عبد الله النهاوندى لغلام خليل — هو أحمد بن محمد بن غالب الباهلى — : « ما هذه الرقائق التى تحدث بها ؟ قال : « وضعناها لنرقق بها قلوب العامة[3] » ، وقد كان مشهوراً بزهده حتى عرف بزاهد بغداد ، وقد غلقت أسواق بغداد لموته[4] ، وحمل فى تابوت إلى البصرة ، وكان يحفظ علماً كثيراً ؛ ومع هذا لم يحمل عنه العلماء وبينوا أمره وأمر غيره .

٦ — الخرافات المذهبية والكلامية :

وكما دعم أتباع الأحزاب السياسية آراءهم وأحزابهم بوضع الأحاديث ؛ وضع أتباع المذاهب الفقهية والكلامية أحاديث لتأييد مذاهبهم ؛ من هذا ما روى أنه قيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى : إن قوما يرفعون أيديهم فى الركوع وفى الرفع منه ، فقال : حدثنا المسيب بن واضح . . . . عن أنس مرفوعا

(١ و ٥) تدريب الراوى ص ١٨٤ ، واللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

(٣) ميزان الإعتدال ص ٦٦ — ٦٧ ج ١ ، وتدريب الراوى ص ١٨٥ واللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ .

(٤) كانت وفاته فى رجب من سنه (٢٧٥ هـ) . انظر ميزان الإعتدال ص ٦٧ ج ١

« من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له[١] » ، وحديث : « كل ما فى السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن ، وذلك أنه كلامه منه بدأ وإليه يعود ، وسيجىء أقوام من أمتى يقولون القرآن مخلوق ، فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم ، وطلقت امرأته من ساعته ، لأنه لا ينبغى لمؤمنة أن تكون تحت كافر إلا أن تكون سبقته بالقول[٢] » وعلائم الوضع ظاهرة جلية فى تعليلاته وركاكة لفظه .

ومن هذا ما رواه زهير بن معاوية قال أخبرنا محرز أبو رجاء — وكان يرى رأى القدر فتاب منه — فقال : لا ترووا عن أحد من أهل القدر شيئا ، فوالله لقد كنا نضع الأحاديث ندخل بها الناس فى القدر نحتسب بها ، ولقد أدخلت أربعة آلاف من الناس . قال زهير : فقلت له : كيف تصنع بمن أدخلتهم ؟ قال : ها أنا ذا أخرجهم الأول فالأول[٣] .

٧ — التقرب من الحكام وأسباب أخرى :

لم يذكر أحد — فيما اطلعت — أن أحدا من رجال الحديث أو غيرهم تقرب من خلفاء بنى أمية وأمرائهم بوضع ما يرضى ميولهم من الحديث ، اللهم إلا ما اتهم به الشيعة بعض الصحابة والتابعين فى ذلك ، وقد رددنا هذا فى الفصل

---

(١) تدريب الراوى ص ١٨١ ، والباعث الحثيث ص ٩٠ وقال فيه عن الحاكم : فهذا مع كونه كذبا من أنجس الكذب ، فان الرواية عن الزهرى بهذا السند بالغة مبلغ القطع باثبات الرفع عند الركوع وعند الاعتدال ، وهى فى الموطأ وسائر كتب الحديث أ هـ من لسان الميزان ص ٢٨٨ — ٢٨٩ ج ٥ .

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٤ ج ١

(٣) الجرح والتعديل ص ٣٢ ج ١ وفيه (هوذا) وما أثبته أصوب .

الثانى من « أبى هريرة » ، وطبيعى ان يتقرب بعض المرائين إلى الطبقة الحاكمة بوضع ما يرضيهم من الحديث ، وقد حدث هذا فعلا فى عهد العباسيين ، فقد أسند الحاكم « عن هارون بن أبى عبيد الله عن أبيه قال : قال المهدى ألا ترى ما يقول لى مقاتل ؟ قال : إن شئت وضعت لك أحاديث فى العباس ، قلت لا حاجة لى فيها[1] » .

وقد كذب غياث بن إبراهيم للمهدى فى حديث « لا سبق إلا فى نصل أو خف أو حافر » ، فزاد فيه أو جناح حين رآه يلعب بالحمام ، فتركها المهدى بعد ذلك ، وأمر بذبحها ، بعد أن أعطاه عشرة آلاف درهم ، وقال فيه بعد أن ولى : « أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] » وإن هذا الإنكار من المهدى لا يكفى ، بل كان عليه ألا يعطيه عشرة آلاف درهم من أموال المسلمين ، لكذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يمنعه من هذا ويزجره ويحبسه إذا لم يشأ أن يقتله[3] .

وهناك أسباب أخرى بينها رجال الحديث ، وضربوا لها الأمثال ، مثال ذلك ما أسنده الحاكم عن سيف بن عمر التميمى ، قال : كنت عند سعد ابن طريف ، فجاء ابنه من الكتاب يبكى ، فقال : مالك ؟ قال : ضربنى المعلم . قال : لأخزينهم اليوم ، حدثنى عكرمة عن ابن عباس مرفوعا : معلمو صبيانكم

---

(١) تدريب الراوى ص ١٨٧ والباعث الحثيث ص ٩٤ وأبو عبيد الله هو وزير للمهدى .

(٢) المدخل ص ٢٠ ـ ٢١ والباعث الحثيث ص ٩٤ ، وتدريب الراوى ص ١٨٧ ، وتوضيح الأفكار ص ٧٦ ج ٢ .

(٣) راجع السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ١٠٤ فقد كتب أستاذنا الدكتور السباعى كلمة طيبة جريئة لما كان اتساهل الخلفاء والأمراء مع الوضاعين من أثر سيء فى الدين .

شراركم ، أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المسكين[١] » . وحديث : « خير تجارتكم البز، وخير أعمالكم الخرز[٢] » ،و «من سيادة المرء خفة عارضيه[٣] » ، و « الناس أكفاء إلا حائك أو حجام[٤] » .

ومن الوضاعين من جعل الأسانيد المشهورة للحكم القديمة ، وللأقوال المعسولة ، ومنهم من وضع الحديث للإغراب ليُقصدوا بالطلب لما عندهم من غريب الحديث ، وهؤلاء من جهال أهل الحديث ، بل من المتطفلين على الحديث النبوى وعلمائه ، ومنهم من وضع الأحاديث فى أصناف معينة من المآكل لترويجها ، أو فى مهن خاصة للرفع من قدرها .. وفى غير هذا وذاك ، وقد بين العلماء جميع هذا ، ووضعوا قواعد علمية دقيقة لحفظ الحديث .

---

(١) انظر تدريب الراوى ص ١٨٠ ــ ١٨١ ، والباعث الحثيث ص ٨٩ حيث قال : وسعد بن طريف هذا ، قال فيه ابن معين : « لايحل لأحد أن يروى عنه » وقال ابن حبان : « كان يضع الحديث » وراوى القصة عنه سيف بن عمر ، قال فيه الحاكم : اتهم بالزندقة وهو فى الرواية ساقط » أ هـ .

(٢ و ٣ و ٤) قبول الأخبار ص ٢١ وانظر فى المدخل ص ٢٤ بعض ما وضعه الكذابون فى الشهوات والملذات .

الفصل الثاني

جهود الصحابة والتابعين وأتباعهم في مقاومة الوضع

كاد الوضاعون يسيئون إلى الدين إساءة خطيرة ، ويشوهون بكذبهم وجه الإسلام ، ويدخلون فى تعاليمه ماليس منه ، لولا عناية الله عز وجل الذى حفظ الإسلام من التحريف والتبديل ، وصان كلام نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يكون مطية لأهل الأهواء ، وقيض للأمة رجالا أمناء مخلصين ، قاوموا الوضاعين وتتبعوهم ، ومازوا الباطل من الصحيح ، فلولا الجهود التى بذلها الصحابة والتابعون وعلماء الأمة من بعدهم لاشتبه على كثير من الناس بعض أمور دينهم ، لكثرة ما اختلقه الكذبة الوضاعون ، ونسبوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً . وان المنصف لا يسعه إلا أن يقف اجلالا واكباراً لجهود علماء الأمة التى بذلوها — منذ عصر الصحابة الى أن تم تدوين السنة — فى تنقيح السنة الشريفة وتطهيرها مما أدخلته فيها يد الوضع ، وإن المرء ليزداد إعجابا بتلك القواعد العلمية الدقيقة التى طبقها العلماء ، وبذلك المنهج الخاص الذى اتبعوه فى سبيل الحفاظ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولندرك قيمة بحثهم ودراستهم وصبرهم وتتبعهم ازاء تلك الكثرة من الأحاديث الموضوعة ، التى يصعب استقصاؤها وحصرها — يكفينا لهذا أن نعلم أنه قد وضع أعداء الإسلام بشهادة حماد بن زيد أربعة عشر ألف حديث ، وأن عبد الكريم بن أبى العوجاء اعترف بوضع أربعة آلاف حديث ، وأقر محرز أبو رجاء القدرى التائب بأنهم وضعوا أحاديث فى القدر أدخلت أربعة آلاف

إنسان فيه ، وغير هؤلاء كثيرون ، فكانت مهمة العلماء شاقة لما يحف بها من الحذر ، وما يترتب عليها من الآثار الجليلة فى الدين والدنيا ، وبفضل الله ورحمته ذللت تلك الصعوبات على أيدى جهابذة الأمة ، الذين شهد بعلمهم وفضلهم وحسن منهجهم ودقة قواعدهم علماء المشرق والمغرب ، وحفظت السنة من عبث العابثين وتأويل المغرضين ، وتحريف الجاهلين المضلين ، وصدق ابن المبارك حين قيل له : هذه الأحاديث الموضوعة !!؟ فقال تعيش لها الجهابذة « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[1] » .

ونستعرض الآن ما بذله علماء الأمة فى سبيل حفظ الحديث الشريف ، فقد بحثوا فى كل ما يتعلق بالحديث النبوى رواية ودراية ، وخطوا خطوات جليلة كفلت سلامة السنة من العبث ، ونحن نلخصها فيما يلى :

أولا — التزام الإسناد :

لم يكن المسلمون فى صدر الإسلام — منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى فتنة عثمان — يكذب بعضهم بعضا ، بل كانت الثقة تملأ صدورهم ، والإيمان يعمر قلوبهم ، حتى إذا ما وقعت الفتنة ، وتكونت الفرق والأحزاب ، وبدأ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتخذ مطية لأهل الأهواء — وقف الصحابة والتابعون من هذه الظاهرة وقفة قوية للحفاظ على الحديث الشريف ، وأصبحوا يشددون فى طلب الإسناد من الرواة ، والتزموه فى الحديث ، لأن السند للخبر كالنسب للمرء ، ويخبرنا الإمام محمد بن سيرين عن ذلك فيقول : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا

---

(١) تدريب الراوى ص ١٨٤ والكفاية ص ٣٧ ، والجرح والتعديل ص ١٨ ج ١ وروى عن عبد الرحمن بن مهدى نحو هذا فى توضيح الافكار ص ٧٩ ج ٢ والآية ٩ : الحجر .

لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم[1] » .

وهذا لا يدل على أن الصحابة والتابعين لم يكونوا يسندون الأحاديث قبل الفتنة بل كان بعضهم يسند ما يروى تارة ولا يسنده أخرى ، لأنهم كانوا على جانب كبير من الصدق والأمانة والاخلاص ، وهناك أمثلة واضحة تبين اسناد الصحابة للروايات قبل الفتنة ، من هذا ما حدث به على رضى الله عنه البراء بن عازب « أن فاطمة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تحل ، فحلت ونضحت البيت بنضوح[2] » . وكان أبو أيوب الأنصارى يحدث عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعه من رسول الله عليه الصلاة والسلام[3] . وقد حدث الصحابة بعضهم عن بعض .

وخلاصة القول أن المسلمين قبل الفتنة لم يلتزموا الإسناد دائما لما كانوا عليه من الصدق والأمانة ، علما بأن الاسناد لم يكن طارئا وجديدا على العرب بعد الإسلام ، بل عرفوه قبل الإسلام ، وكانوا أحيانا يسندون القصص والاشعار فى الجاهلية[4] . وإنما التزم هذا التثبت فى الاسناد بعد الفتنة فى عهد صغار الصحابة وكبار التابعين ، وفى هذا يروى الامام مسلم بسنده المتصل عن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨٤ جـ ١ وسنن الدارمى ص ١١٢ جـ ١ ومحمد بن سيرين تابعى جليل ولد سنة ٣٣ هـ وتوفى سنة ١١٠ هـ انظر ترجمته فى الباب الخامس من هذه الرسالة .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى و آداب السامع ص ١٨٢ : ب

(٣) انظر البداية والنهاية ص ١٠٩ جـ ٨ ، وسير أعلام النبلاء ص٤٣٦ جـ ٢

(٤) وقد ينتهى الإسناد إلى الشاعر أو إلى راويته ، ولم يكن التزام الإسناد المتصل دائما بل من النادر ، أما الإسناد المرسل فهو أكثر و « يكاد يكون ملتزما فى رواية الأدب التزاما لا اخلال فيه » انظر : مصادر الشعر الجاهلى ص ٢٥٨ .

مجاهد قال : « جاء بشير العدوى[١] إلى ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر إليه ، فقال : يا ابن عباس ، مالى لا أراك تسمع لحديثى ، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا مانعرف[٢] » . وفى رواية عن طاوس « فجعل — بشير — يحدثه فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له ، ثم حدثه ، فقال له : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له ، فقال له : ما أدرى أعرفت حديثى كله وأنكرت هذا أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا ؟ فقال له ابن عباس : إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يكن يُكْذب عليه ، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه[٣] » ، وكان بعدهم التابعون يسألون عن الإسناد ويلتزمونه ، ومن هذا ما يرويه ابن عبد البر عن الشعبى عن الربيع بن خُثَيم قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات كن له كمعتق رقاب أو رقبة : قال الشعبى فقلت للربيع بن خثيم : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : عمرو بن ميمون الأودى فلقيت عمرو بن ميمون ، فقلت : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : عبد الرحمن بن أبى ليلى . فلقيت ابن أبى ليلى فقلت : من

---

(١) هو بصير — مصغراً — ابن كعب بن أبى الحير العدوى ، أبو أيوب البصرى ثقة ، مخضرم من الطبقة الثانية ، وفاته قبل سنة مائة من الهجرة . انظر تقريب التهذيب ص ١٠٤ ج ١

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨١ ج ١

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٨٠ ص ج ١

حدثك ؟ قال : أبو أيوب الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] »
قال يحيي بن سعيد : « وهذا أول ما فتش عن الإسناد[٢] » .

وقال أبو العالية : « كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رضينا حتى رحلنا إليهم ، فسمعناها من أفواههم[٣] » وكان التابعون وأتباعهم يتواصون بطلب الإسناد ، قال هشام بن عروة : « إذا حدثك رجل بحديث فقل عمن هذا[٤] ؟ » ، وكان الزهرى إذا حدث أتى بالإسناد ويقول : « لا يصلح أنْ يُرْقى السطحُ إلا بدَرَجه[٥] » ، وقال الأوزاعى : « ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد[٦] » ، وقال سفيان الثورى : « الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح فبأى شىء يقاتل[٧] ؟ » ، ويقول عبد الله ابن المبارك : الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[٨] ، وعنه أنه قال : « بيننا وبين القوم القوائم يعنى الإسناد[٩] » .

وقد أتقن التابعون الإسناد وبرزوا فيه كما برزوا فى غيره من علوم الحديث وفى هذا يقول أبو داود الطيالسى : « وجدنا الحديث عند أربعة : الزهرى ، وقتادة ، وأبى اسحاق ، والأعمش ، فكان قتادة أعلمهم بالاختلاف ، والزهرى

---

(١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٤ : ب ، وتطار المحدث الفاصل ص ٢٠ : آ
(٢) المحدث الفاصل ص ٢٠ : آ
(٣) مقدمة التمهيد ص ١٥ : آ ونحوه فى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨ :ب
(٤) الجرح والتعديل ص ٣٤ جـ ١
(٥) المرجع السابق ص ١٦ جـ ١
(٦) مقدمة التمهيد ص ١٥ : ب
(٧) شرف أصحاب الحديث ص ٨٠ : ب مخطوط دار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم (ب — ٢٣٢٣٦) ومن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق ص ٣٩ جـ ١ .
(٨) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨٧ جـ ١
(٩) المرجع السابق ص ٨٨ جـ ١

أعلمهم بالإسناد ، وأبو اسحاق أعلمهم بحديث على وابن مسعود ، وكان عند الأعمش من كل هذا . . [١] » .

وأصبح الإسناد أمراً بدهياً مسلما به عند العامة والخاصة ، ويظهر هذا فيما يرويه الأصمعى فيقول : « حضرت ابن عيينة وأتاه أعرابى فقال : كيف أصبح الشيخ يرحمه الله ؟ فقال سفيان : بخير نحمد الله ، قال : ماتقول فى امرأة من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت ؟ فقال : تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت ، فقال : هل من قدوة ؟ قال : نعم ، عائشة حاضت قبل أن تطوف بالبيت ، فأمرها النبى صلى الله عليه وسلم أن تفعل ما يفعل الحاج غير الطواف ، قال هل من بلاغ عنها ؟ قال نعم حدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بذلك . قال الأعرابى : لقد استسمنت القدرة ، وأحسنت البلاغ ، والله لك بالرشاد [٢] » ، وقال المدائنى سمع أعرابى رجلا يحدث بأحاديث غير مسندة فقال : لِمَ ترسلها بلا أزمة ولا خطم [٣] ؟ » .

ولا يطعن فيما قررناه من التزام التابعين للاسناد المتصل ماروى عن بعض التابعين من المراسيل ، لأن هناك روايات تؤكد أن التابعى كان يذكر من حدثه عندما يسأل عن الإسناد ، ومن هذا ما يرويه ابن عبد البر باسناده المتصل عن مالك بن أنس قال : « كنا نجلس إلى الزهرى وإلى محمد بن المنكدر فيقول الزهرى : قال ابن عمر كذا وكذا ، فإذا كان بعد ذلك جلسنا إليه فقلنا له : الذى ذكرت عن ابن عمر من أخبرك به ؟ قال : ابنه سالم . وقال حبيب بن الشهيد : قال لى محمد بن سيرين : سل الحسن ممن سمع حديث العقيقة ، فسألته ، فقال :

---

(١) تذكرة الحفاظ ص ١٠٨ ج ١

(٢) الكفاية ص ٤٠٤

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ، نسخة الإسكندرية ص ١٦٤ : ب .

من معمرة . قال أبو عمر (ابن عبد البر) : فهكذا مراسيل الثقات ، إذا سئلوا أحالوا على الثقات . وقال سليمان الأعمش : قلت لإبراهيم : إذا حدثتني حديثاً فأسنده ، فقال : إذا قلت : عن عبد الله يعني ابن مسعود فاعلم أنه عن غير واحد (عنه) ، وإذا سميت أحدا فهو الذي سميت[1] » .

ومن هنا يتبين لنا أن أكثر من أرسلوا الحديث كانوا على جانب كبير من العلم ، وكانوا يعرفون السند ، وإنما لم يذكروه اختصاراً ، ويظهر لنا هذا فيما روى عن حماد بن سلمة قال : « كنا نأتي قتادة فيقول : بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبلغنا عن عمر ، وبلغنا عن علي ، ولا يكاد يسند ، فلما قدم حماد بن أبي سليمان البصرة جعل يقول : حدثنا إبراهيم وفلان وفلان ، فبلغ قتادة ذلك ، فجعل يقول : سألت مطرفا ، وسألت سعيد بن المسيب ، وحدثنا أنس بن مالك ، فأخبر بالإسناد[2] » ، ولم يكونوا يسألونه عن السند لثقة القوم به ، ويدل على هذا ما رواه ابن سعد عن معمر قال : « كنا نجالس قتادة ونحن أحداث ، فنسأل عن السند ، فيقول مشيخة حوله : مه ، إن أبا الخطاب سند ، فيكسرونا عن ذلك[3] » .

ويقول شعبة : « كنت أجالس قتادة ، فيذكر الشيء فأقول : كيف إسناده ؟ فيقول المشيخة الذين حوله : إن قتادة سند ، فأسكت ، فكنت أكثر مجالسته ، فربما ذكر الشيء وأذكره ، فعرف مكاني ، ثم كان بعد يسند لي[4] » .

وهكذا نرى أن الإسناد المتصل كان قد أخذ نصيبه من العناية والاهتمام

---

(١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٠ ، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي .
(٢) طبقات ابن سعد ص ٧ قسم ٢ ج ٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٧ قسم ٢ ج ٢ .
(٤) تقدمة الجرح والتعديل ص ١٦٦

فى عهد التابعين حتى أصبح من واجب المحدث أن يبين نسب ما يروى ، وقد شبه بعضهم الحديث من غير إسناد بالبيت بلا سقف ولا دعائم ، ونظموه فى قولهـم :

والعلمُ إن فاته إسنادُ مسندِهِ   كالبيتِ ليس َلهُ سقفٌ ولا طنبُ[1]

وكان المحدث بإسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه ، ويطمئن إلى صحة ما ينقل عند ما ينتهى سنده المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

ثانياً: مضاعفة النشاط العلمى والتثبت فى الحديث :

من نعم الله عز وجل على المسلمين أن انبث الصحابة فى الأمصار والبلدان ، وكُتِبَ لبعضهم طول العمر ليساهموا فى حفظ السنة المحمدية إثر الفتنة ، وبعد ظهور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان طلاب العلم يسمعون

---

(١) المحدث الفاصل ص ٢٢ : آ

(٢) ونثبت هنا كلمة للدكتور صارم الدين الأسد عن مرد التزام الإسناد المتصل فى رواية الحديث : يقول : « ويبدو لنا أن مرد التزام الإسناد المتصل فى رواية الحديث إلى أمرين : أمر داخلى،وآخر خارجى ، أما الداخلى فمبعثه من نفس الراوى ، ومصدره شعوره بالتحرج الدينى،وذلك أنه ينقل كلاما من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى قال فى حديثه المشهور : « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وفى الإسناد المتصل ما يجعل المحدث يطمئن إلى أن غيره من شيوخه وشيوخ شيوخه ، ثم التابعين والصحابة — يشتركون معه فى تحمل تبعة هـذا الحديث ونقله ، وأنه لا يستقل وحده بحمل هذا العبء ، وأن تبعته لا تعدو النقل الأمين لما سمعه عن شيخ ثقة ثبت .

وأما الأمر الخارجى ، فمرجعه إلى سامعى الحديث من المحدث ، وذلك أن الحديث يتضمن جزءا كبيرا من السنة ، أو هو السنة كلها ، وهو من أجل ذلك مصدر من مصادر التشريع الإسلامى ، بل إنه هو المصدر الثانى الذى يلى فى القيمة كتاب الله ، فلذلك كان من التدقيق والتحقيق ، ومما يبعث الطمأنينة فى نفوس السامعين ، ويوحى إليهم بالثقة فى حديث المحدث — أن يصل بين عصره وعصر الرسول الكريم بسلسلة متصلة من الرواة المحدثين ، كلهم يشهد أنه سمعه ممن قبله حتى يصل الإسناد إلى الصحابة فالرسول » . مصادر الشعر الجاهلى ص ٢٥٨ ــ ٢٥٩ .

من الصحابة ، وإذا ما سمعوا من غيرهم أسرعوا إلى من عندهم من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ليتأكدوا مما سمعوا ، فكانوا يبينون لهم الغث من السمين ، من هذا ما فعل ابن عباس مع ابن أبي مليكة ، قال ابن أبي مليكة : « كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لى كتاباً ويخفى عنى[1] . فقال : ولد ناصح أنا أختار له الأمور إختياراً وأخفى عنه . قال : فدعا بقضاء على فجعل يكتب منه أشياء ويمر به الشيء فيقول والله ما قضى بهذا علىّ إلا أن يكون ضـــل[2] » .

وكان كثير من طلاب العلم يرحلون إلى الصحابة ، يقطعون الفيافى والقفار ، للتأكد من حديث سمعوه من تابعى عندهم ، وهذا معنى قول أبى العالية السابق : كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم . بل إن الصحابة رحل بعضهم إلى بعض فى سبيل هذا ، فقد إرتحل أبو أيوب إلى عقبة بن عامر فى مصر[3] ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس فى حديث[4] ، وغير هؤلاء ممن سبق ذكرهم .

وأما التابعون وأتباعهم فقد كانوا على نطاق واسع من التنقل والارتحال فى سبيل تحمل الحديث عن الثقات ومذاكرة الأحاديث ، فهناك من ارتحل

---

(١) يخفى عنى أى يكتم عنى أشياء ولا يكتبها . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ص٨٢ جـ١ ، ولعله كان يخفى عنه ما لا يثق بصحته .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨٢ جـ ١ .

(٣) انظر جامع بيان العلم ص ٩٣ جـ ١ .

(٤) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨ : ب ، وجامع بيان العلم ص ٩٣ جـ ١ ، وتهذيب التهذيب ص ١٤٩ ــ ١٥٠ جـ ٥ .

إلى أبى الدرداء لحديث عنده فى دمشق[١] ، كما رحل ابن شهاب إلى الشام إلى عطاء بن يزيد وابن محيريز وابن حيوه ، ورحل يحيى بن أبى كثير إلى المدينة للقاء من بها من أولاد الصحابة ، ورحل محمد بن سيرين إلى الكوفة لباقى عبيدة وعلقمة وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، ورحل الأوزاعى إلى يحيى بن أبى كثير باليمامة ودخل البصرة ، كما رحل سفيان الثورى إلى اليمن[٢] . . . وقال سعيد بن المسيب : « إن كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد[٣] » وعن الزهرى عن ابن المسيب « إن كنت لأسير ثلاثاً فى الحديث الواحد[٤] » .

وقد كان مسروق كثير الرحلة فى طلب الحديث ومذاكرته[٥] ، وحدث الشعبى بحديث ثم قال لسامعه : « خذها بغير شىء ، قد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة[٦] » .

وكثيراً ما كان التابعون وأتباعهم يتذاكرون الحديث ، فيأخذون ما عرفوا ويتركون ما أنكروا ، قال الإمام الأوزاعى « كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف ، على الصيارفة فما عرفوا منه أخذنا ، وما تركوا تركناه[٧] » وكانوا دائما يرجعون إلى من يثقون به ، فإذا ما اختلف سعيد وأبو

---

(١) انظر الجرح والتعديل ص ١٢ ج ١

(٢) انظر المحدث الفاصل ص ٣١ : آ

(٣) جامع بيان العلم ص ٩٤ ج ١ ، وتذكرة الحفاظ ص ٥٢ ج ١ ونحوه فى الجامع لأخلاق الراوى ص ١٦٩ : آ .

(٤) المحدث الفاصل ص ٢٨ : ب

(٥) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١

(٦) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٢ ونحوه فى ٩٣ و ٩٤ ج ١ .

(٧) الجرح والتعديل ص ٢١ ج ١ والمحدث الفاصل ص ٦٤ : آ

هلال وشعبة فى قتادة رجعوا إلى هشام الدستوائى[١] ، وإذا اختلف شعبة وسفيان الثورى قالا : « اذهبا بنا إلى الميزان مسعر[٢] » . وعن الأعمش قال : « كان إبراهيم النخعى صيرفيا فى الحديث ، وكنت أسمع من الرجال فأجعل طريقى عليه، فأعرض عليه ما سمعت ، وكنت آتى زيد بن وهب وضرباءه فى الحديث فى الشهر المرة والمرتين ، وكان الذى لا أكاد أغبه إبراهيم النخعى[٣] » .

وكان أئمة الحديث فى هذا العصر على جانب عظيم من الوعى والاطلاع ، فقد كانوا يحفظون الصحيح والضعيف والموضوع حتى لا يختلط عليهم الحديث ، وليميزوا الخبيث من الطيب ، وفى هذا يقول الإمام سفيان الثورى : « إنى لأروى الحديث على ثلاثة أوجه ، أسمع الحديث من الرجل أتخذه دينا ، وأسمع من الرجل أقف حديثه ، وأسمع من الرجل لا أعبأ بحديثه وأحب معرفته[٤] » ويروى لنا أبو بكر بن الأثرم « أن أحمد بن حنبل رأى يحيى بن معين بصنعاء فى زاوية ، وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس ، فإذا طلع عليه إنسان

---

(١) انظر المحدث الفاصل ص ٧٦ : آ وسعيد أرجح أنه ابن أبى صدقه البصرى من الطبقة السادسة ، وأبو هلال هو محمد بن سليم الراسى بصرى من الطبقة السادسة مات سنة ١٦٧ هـ ، وشعبة هو ابن الحجاج الإمام المشهور من الطبقة السابعة توفى سنة ١٦٠ هـ ، وهشام الدستوائى هو ابن عبد الله حافظ مشهور من كبار الطبقة السابعة ، توفى سنة ١٥٤هـ وله (٧٨) سنة . انظر تفصيل تراجمهم فى تهذيب التهذيب .

(٢) المحدث الفاصل ص ٧٥ ب وسفيان هو ابن سعيد الثورى أبو عبد الله الكوفى أمير المؤمنين فى الحديث ، إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة ، كان آية فى الحفظ توفى سنة (١٦١هـ) وله أربع وستون سنة . تهذيب التهذيب ص١١١ ـ ١١٥ ج ٤ وانظر طبقات ابن سعد ص ٢٥٧ ج ٦ ، ومسعر هو ابن كدام الهلالى العامرى ، أبو سلمة الكوفى ، كان آية فى الحفظ ثقة من الطبقة السابعة توفى سنة (١٥٢ هـ) . تهذيب التهذيب ١١٣ ج ١ .

(٣) الجرح والتعديل ص ١٧ ج ١ ، انظر ترجمة إبراهيم النخعى فى الباب الخامس من هذا الكتاب .

(٤) الكفاية ص ٤٠٢ ، وانظر الكامل لابن عدى ص ٢ ج ١ وفيه إنى لأكتب الحديث على ثلاثة وجوه . . انظر الجامع لأخلاق الراوى ص ١٥٧ : ب

كتمه ، فقال له أحمد بن حنبل : تـكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة ، فلو قال لك قائل : إنك تتـكلم فى أبان ثم تـكتب حديثه على الوجه ؟ فقال : رحمك الله يا أبا عبد الله ، أكتب هذه الصحيفة عن عبد الرزاق عن معمر على الوجه فأحفظها كلها ، وأعلم أنها موضوعة حتى لا يجىء بعدم إنسان فيجعل بدل أبان ثابتا ، ويرويها عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك ، فأقول له : كذبت إنما هى عن معمر عن أبان لا عن ثابت[١] ! » .

ثالثاً : تتبع الـكذبة :

إلى جانب احتياط العلماء وتثبتهم فى قبول الأخبار كان بعضهم يحاربون الـكذابين علانية ويمنعونهم من التحديث ، ويستعدون عليهم السلطان . فقد كان عامر الشعبى « يمر بأبى صالح صاحب التفسير ، فيأخذه بأذنه ويقول : ويحك ! كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن أن تقرأ[٢] . » وقال الشافعى : « لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، كان يجىء إلى الرجل فيقول : لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان[٣] » . وقد كان شعبة شديداً على الـكذابين ، قال عبد الملك بن إبراهيم الجدى الثقة المأمون : « رأيت شعبة مغضباً مبادراً فقلت : « مه يا أبا بسطام ، فأرانى طينة[٤] فى يده وقال : أستعدى على جعفر

(١) الجامع لأخلاق الراوى ص ١٥٧ : ب .
(٢) قبول الأخبار ص ٤٢ ، وفيه أن أبا صالح اعترف للـكلبى بأن كل ما حدثه كان كذبا .
(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٩ : آ .
(٤) هكذا فى الأصل . والطينة واحدة الطين وهو الوحل ، ولعل الراوى أراد بها (اللبنة) بفتح اللام وكسر الباء واحدة اللبن التى يبنى بها الجدار ، ولعله قال ذلك باعتبار أصلها .

ابن الزبير يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] . » وفى رواية « على هذا يعنى جعفر بن الزبير ، وضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة حديث كذب[2] . »

وعن حماد بن زيد قال : كلمنا شعبة أنا وعباد بن عباد وجرير بن حازم فى رجل ، فقلنا : لو كففت عنه ؟ قال : فكأنه لان ، وأجابنا ، قال : فذهبت يوماً أريد الجمعة ، فإذا شعبة ينادى من خلفى فقال : « ذاك الذى قلتم لى فيه لا أراه يسعنى[3] . » وكان شعبة يفعل هذا كله حسبة لله[4] .

وعن أحمد بن سنان قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول استعديت ، على عيسى بن ميمون فى هذه الأحاديث التى يحدثها عن القسم ، فقال : لا أعود[5] .

وكان الإمام سفيان الثورى شديداً على الكذابين ، لا يتوانى عن إظهار عيوبهم ، وفى هذا يقول ابن أبى غنيّة : « ما رأيت رجلا أصفق وجها فى ذات الله من سفيان الثورى رحمه الله[6] » . وحدث حماد المالكى[7] — وكان كذاباً — حديثاً فجاءه عمرو الأنماطى وقال له : « والله لا تفارقنى حتى استعدى عليك ، فأقر أنه لم يسمعه من الحسن ، وحلف لا يحدث به ، (قال) فكتبت عليه كتاباً وأشهدت عليه شهوداً[8] » ، وكان بعض المحدثين لا يتحملون كذب هؤلاء ،

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٩ : ب

(٢) تهذيب التهذيب ص ٩١ ج ٢   (٣و٤) انظر الجرح والتعديل ص ٢١ ج ١

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٥٠ : ب ويروى نحو هذا عن أبى الوليد الطيالسى انظر تهذيب التهذيب ص ٢٤٢ ج ١٠ .

(٦) الكامل لابن عدى ص ٢ ج ١ .

(٧) هو حماد بن مالك ويقال المالكى شيخ روى عن الحسن رموه بالكذب ص ٢٨٢ ج ١ ميزان الاعتدال .

(٨) المحدث الفاصل ص ٦٣ : ب والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع : ١٥٠ : آ

فيضربونهم ويهددونهم بالقتل، روى الإمام مسلم باسناده المتصل عن حمزة الزيات قال : « سمعَ مرةُ الهمْدانى من الحارث (الأعور) شيئا فقال له : اقعد بالباب ، قال: فدخل مُرّةُ وأخذ سيفه ، قال: وأحس الحارث بالشر فذهب[(١)] ».

وكان نتيجة هذا أن توارى كثير من الـكذابين ، وكفوا عن كذبهم ، كما أصبح عند العامة وعى جيد : يميزون به بين المتطفلين على الحديث وأهله ورجاله الثقات ، ويدل على هذا ماروا ابن حجر عن يزيد بن هارون قال : « كان جعفر بن الزبير وعمران بن حُدَيْر فى مسجد واحد مصلاهما ، وكان الزحام على جعفر بن الزبير وليس عند عمران أحد ، وكان شعبة يمر بهما فيقول : ياعجبا للناس ! اجتمعوا على أكذب الناس وتركوا أصدق الناس ، قال يزيد : فما أتى عليه قليل حتى رأيت ذلك الزحام على عمران ، وتركوا جعفرا وليس عنده أحد[(٢)] » . ، وكان الناس لا يجرؤون على الـكذب فى زمن سفيان الثورى ، لأنه كان شديدا على الـكذابين : يكشف عنهم ، ويبين عوارهم ، وفيه قال قتيبة بن سعيد : « لولا سفيان الثورى لمات الورع[(٣)] » .

رابعا : بيان أحوال الرواة :

وكان لابد للصحابة والتابعين ومن تبعهم من معرفة رواة الحديث ،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٩٩ ج ١ ، وكان الحارث الأعور كذابا من غلاة الشيعة توفى سنة (٦٥) هـ انظر صحيح مسلم بشرح النووى ص ٩٨ و ٩٩ ج ١ وانظر ميزان الاعتدال ص ٢٠٢ ج ١ ، ومرة هو ابن شراحيل الهمدانى أبو اسماعيل الـكوفى تابعى ثقة عابد جليل توفى سنة (٧٦ هـ) انظر تهذيب التهذيب ص ٨٨ ـ ٨٩ ج ١٠ .

(٢) تهذيب التهذيب ص ٩١ ج ٢ .

(٣) الـكامل لابن عدى ص ٢ ج ١ .

معرفة تمكنهم من الحكم بصدقهم أو كذبهم ، حتى يتمكنوا من تمييز الحديث الصحيح من المكذوب، لذلك درسوا حياة الرواة وتاريخهم ، وتتبعوهم فى مختلف حياتهم ، وعرفوا جميع أحوالهم ، كما بحثوا أشد البحث (حتى عرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والأضبط فالأضبط ، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة[1] » .. ، وقد قال سفيان الثورى : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ[2] » .

وكانوا يبينون أحوال الرواة وينقدونهم ويعدلونهم حسبة لله ، لا تأخذهم خشية أحد ولا تتملكهم عاطفة ، فليس أحد من أهل الحديث يحابى فى الحديث أباه ولا أخاه ولا ولده ، فهذا زيد بن أبى أنيسة يقول : « لا تأخذوا عن أخى[3] !!! » وقال على بن المدينى لمن سأله عن أبيه : « سلوا عنه غيرى ، فأعادوا المسألة ، فأطرق ، ثم رفع رأسه فقال : هو الدين ، إنه ضعيف[4] » ، « وكان وكيع بن الجراح لكون والده كان على بيت المال يقرن معه آخر إذا روى عنه[5] » .

وكان أئمة النقاد يعينون أياما للتكلم فى الرجال وأحوالهم ، قال أبو زيد الأنصارى النحوى : أتينا شعبة يوم مطر ، فقال ليس هذا يوم حديث ، اليوم يوم غيبة ، تعالوا نغتاب الكذابين[6] » ، وكانوا يأمرون طلابهم وإخوانهم أن يبينوا حال الراوى الذى يكثر غلطه ، والمتهم فى حديثه ، قال عبد الرحمن

---

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٣٨ : ب .
(٢) الكامل لابن عدى ص ٤ : ب ، جـ ٣ ، والكفاية ص ١١٩ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٢١ جـ ١ .
(٤ و ٥) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٦٦ م
(٦) الكفاية ص ٤٥ .

ابن مهدى : « سألت شعبة وابن المبارك والثورى ومالك بن أنس عن الرجل يُتهم بالكذب ، فقالوا : انشره ، فإنه دين[1] » ، وعن يحيى بن سعيد قال : « سألت سفيان الثوري وشعبة ، ومالكا وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتاً فى الحديث ، فيأتينى الرجل فيسألنى عنه ، قالوا : أخبر عنه أنه ليس بثبت[2] » .

وكان طلاب العلم يسألون الأئمة ويكتبون إليهم ليخبروهم عن الرواة ، من ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده عن عبيد الله بن معاذ العنبرى عن أبيه قال : « كتبت إلى شعبة أسأله عن أبى شيبة قاضى واسط ، فكتب إلىّ : لا تكتب عنه ، ومزق كتابى »[3] .

وكان النقاد يدققون فى حكمهم على الرجال ، يعرفون لكل محدث ما له وما عليه ، قال الشعبى : « والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة وأخطأت مرة لعدّوا علىّ تلك الواحدة »[4] . وكانت المظاهر لا تغريهم ، وكل ما يهمهم أن يخلصوا العمل لله ، ويصلوا إلى ما ترتاح إليه ضمائرهم ، لخدمة الشريعة ودفع ما يشوبها ، وبيان الحق من الباطل ، قال يحيى بن معين : « إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم فى الجنة منذ أكثر من مائتى سنة[5] » قال السخاوى : « أى أناس صالحون ، ولكنهم ليسوا من أهل الحديث[6] . »

وعن أبى بكر بن خلاد ، قال : قلت ليحيى بن سعيد القطان : أما تخشى

---

(١) مقدمة التمهيد ص ١٢ : ب .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٩٢ ج ١ .
(٣) المرجع السابق ص ١١٠ ج ١ .
(٤) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١ .
(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٠ : آ .
(٦) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢ .

أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى ؟ قال : قال : لأن يكون هؤلاء خصمائى أحب إلىّ من أن يكون خصمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لِمَ حدثت عنى حديثاً ترى أنه كذب[1] ؟ » .

وهكذا تكون علم الجرح والتعديل الذى وضع أسسه كبار الصحابة والتابعين وأتباعهم على ضوء الشريعة الحنيفية متأسين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال تعالى : « يأيها الذينَ آمنوا إنْ جاءكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا قوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُم نَادِمِينَ[2] » وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الجرح : « بئسَ أخو العَشيرةِ » ، وفى التعديل : « إنَّ عبدَ اللهِ رجلٌ صالحٌ[3] » ، وقال السخاوى : (وأما المتكلمون فى الرجال فخلق من نجوم الهدى ومصابيح الظلام المستضاء بهم فى دفع الردى ، لا يتهيأ حصرهم فى زمن الصحابة رضى الله عنهم ، سرد ابن عدى فى مقدمة كامله منهم خلقاً إلى زمنه (٢٧٧ — ٣٦٥ هـ) فالصحابة الذين أوردهم : عمر ، وعلى ، وابن عباس ، وعبد الله بن سلام ، وعبادة بن الصامت ، وأنس ، وعائشة — رضى الله عنهم ، و « أورد »[4] تصريح كل منهم بتكذيب من لم يصدقه فيما قاله ، وسرد من التابعين عدداً كالشعبى ، وابن سيرين ، وسعيد بن المسيب ، وابن جبير ، ولكنهم فيهم قليل بالنسبة لمن بعدهم لقلة الضعف فى متبوعهم ، إذ أكثرهم صحابة عدول وغير الصحابة من المتبوعين أكثرهم ثقات ، ولا يكاد يوجد فى القرن الأول الذى انقرض فيه الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد

---

(١) الكفاية ص ٤ .

(٢) ٦ : الحجرات .

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢ وانظر الكفاية ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٤) ليست فى النص زدناها لتنقيم العبارة .

بعد الواحد ، كالحارث الأعور ، والمختار الكذاب .

فلما مضى القرن الأول ودخل الثانى كان فى أوائله من أوساط التابعين جماعة من الضعفاء الذين ضعفوا غالبا من قبل تحملهم وضبطهم للحديث .

فلما كان عند آخرهم [1] عصر التابعين وهو حدود الخمسين ومائة تكلم فى فى التوثيق والتجريح طائفة من الأئمة ، فقال أبو حنيفة : مارأيت أكذب من جابر الجعفى ، وضعف الأعمش جماعة ووثق آخرين ، ونظر فى الرجال شعبة وكان متثبتا لا يكاد يروى إلا عن ثقة ، وكذلك كان مالك . وممن إذا قال فى هذا العصر قُبل قوله : معمر ، وهشام الدستوائى ، والأوزاعى ، والثورى ، وابن الماجشون ، وحماد بن سلمة ، والليث بن سعد ، وغيرهم ، ثم طبقة أخرى بعد هؤلاء : كابن المبارك ، وهشيم ، وأبى اسحاق الفزارى ، والمعافى بن عمران الموصلى ، وبشر بن المفضل ، وابن عيينة ، وغيرهم . . . [2] » وقد بين هؤلاء من تقبل روايته ومن لا تقبل ، وتكلموا فى العدالة وموجباتها ، وفى الجرح وأسبابه ، وقد نص عمر رضى الله عنه فى كتابه إلى أبى موسى الأشعرى على العدالة ، ووضع أول الأسس فى ذلك ، وبين من تقبل شهادته ومن لا تقبل ، ولما كانت الرواية لا تختلف عن الشهادة من ناحية التحمل والأداء ، فبوسعنا أن نقول : إن عمر رضى الله عنه قد نص على العدالة التى يجب أن يتحلى بها كل مسلم حتى تقبل شهادته وروايته ، فقد قال رضى الله عنه : « والمسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجرباً عليه شهادة زور ، أو مجلوداً فى حد . . . فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر [3] » وتكلم بعده الصحابة والتابعون ، وبينوا

---

(١) أى لما كان عند آخر التابعين انتهاء عصر التابعين .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣) إعلام الموقعين ص ٨٦ ج ١ .

من تترك روايته مطلقا ، ومن لا تقبل روايته ولو تاب ، كالوضاعين الكاذبين على رسول الله ، وأصحاب البدع الداعين إلى بدعهم إذا استحلوا الكذب ، قال الإمام مالك : « لا يؤخذ العلم عن أربعة ، ويؤخذ ممن سوى ذلك : لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من سفيه معلن بالسفه وإن كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث[1] » . وقيل لشعبة بن الحجاج : متى يترك حديث الرجل ؟ قال : إذا روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون فأكثر ، وإذا أكثر الغلط ، وإذا اتهم بالكذب ، وإذا روى حديثا غلطاً مجتمعاً عليه فلم يتهم نفسه فيتركه ، طُرِح حديثه . وما كان غير ذلك فارووا عنه[2] » .

وقال الإمام الشافعى : « كان ابن سيرين ، وإبراهيم النخعى ، وطاوس ، وغير واحد من التابعين — يذهبون إلى ألا يقبلوا الحديث إلا عن ثقة يعرف ما يروى ويحفظ ، وما رأيت أحداً من أهل الحديث يخالف هذا المذهب[3] » .

هكذا بين جهابذة هذا العلم — منذ صدر الإسلام إلى عهد التدوين والتصنيف — أحوال الرواة : المقبول منهم والمتروك . وتكامل علم الجرح والتعديل ، وألفت مصنفات ضخمة فى الرواة وأقوال النقاد فيهم ، حتى إنه لم يعد يختلط الكذابون والضعفاء بالعدول الثقات ، كما ألفت مصنفات ومعاجم خاصة

---

(١) المحدث الفاصل ص ٧٩ : آ ـ ٧٩ : ب ، والجرح والتعديل ص ٣٢ ج ١ ، والكفاية ص ١١٦ .

(٢) الجرح والتعديل ص ٣٢ ج ١ والمحدث الفاصل ص ٨١ : ب ـ ٨٢ : آ وروى نحو هذا عن ابن المبارك انظر الكفاية ص ١٤٣ ، وأيضاً نحوه عن الإمام أحمد انظر الكفاية ص ١٤٤ .

(٣) مقدمة التمهيد ص ١٠ : ب .

بالضعفاء والمتروكين ، وأصبح من السهل جداً على أصحاب الحديث أن يميزوا الخبيث من الطيب فى كل عصر ، وقد بنى النقاد حكمهم فى الرواة على قواعد دقيقة ، فقدموا للحضارة الإنسانية أعظم إنتاج فى هذا المضمار ، يفخر به المسلمون أبد الدهر ، وتعتز به الأمة الإسلامية التى شهد لها كبار العلماء بأياديها البيضاء فى خدمة السنة الشريفة ، قال المستشرق المانى « شبرنجر » فى تصدير كتاب الإصابة لابن حجر — طبعة كلكتا سنة ١٨٥٣ — ١٨٦٤ — : « لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة ، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت فى علم أسماء الرجال بمثل ماجاء به المسلمون فى هذا العلم المعظيم الخطر ، الذى يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونهم[١] . . . »

ولم يكتف العلماء بالتزام الإسناد ، والتثبت من الأحاديث بالارتحال إلى الصحابة وكبار التابعين ، وبمراجعتها ومقارنتها ومعرفة طرقها وأسانيدها ومعرفة رواتها وأحوالهم ، والثقة منهم والمجروح ، بل قسموا الحديث إلى درجات يعرف بها المقبول من المردود ، والقوى من الضعيف ، فقسموه إلى صحيح وحسن وضعيف ، وبينوا حد كل منها وما يندرج تحته ، أما الحديث الحسن فلم يكن معروفا عند المحدثين فى القرن الهجرى الثانى ، وإنما عرف بعد ذلك ، ويعتبر كتاب الترمذى أصلا فى معرفة الحسن[٢] ، كما (يوجد — الحسن — فى متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التى قبله ، كأحمد والبخارى وغيرهما[٣]) وتكلموا فى أنواع الضعيف ، وبنوا ذلك على منشأ الضعف من السند أو المتن ،

---

(١) أضواء على التاريخ الإسلامى ص ١٣٦ .

(٢) انظر اختصار علوم الحديث ص٣٤ .

(٣) الباعث الحثيث ص٤٤ أى فى كلام بعض مشايخ الترمذى .

وقد قسمه ابن حبان تسعة وأربعين قسما[1] ، وقسمه ابن الصلاح أقساما كثيرة باعتبار الصفة التي فقدها من صفات القبول الستة ، وهي : الاتصال ، والعدالة والضبط ، والمتابعة في المستور ، وعدم الشذوذ ، وعدم العلة ، وباعتبار فقد صفة مع صفة أخرى تليها أولا ، أو مع أكثر من صفة إلى أن تفقد الستة ، فبلغت فيما ذكره العراقي في شرح الألفية اثنين وأربعين قسما[2] ، وقسمه غيره إلى أنواع أكثر من ذلك لايتسع المجال لذكرها .

خامسا : وضع قواعد لمعرفة الموضوع من الحديث :

وكما وضع العلماء قواعد دقيقة لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من الحديث ، وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع منه ، وذكروا ما يدل على الوضع في سند الحديث ، وما يدل عليه في متنه ، وسنوجز هذه العلامات فيما يلي :

(ا) علامات الوضع في السند :

١ — أن يعترف راوي الحديث بكذبه ، ويقر باختلاقه ما يروى ، كما أقر عبد الكريم الوضاع ، وأبو عصمة نوح بن أبي مريم ، وكما اعترف أبو جزى وهو مريض فقال : « لولا أنه حضرني من الله ما ترون كنت خليقا ألا أقر ولا أعترف ، ولكني أشهدكم أني وضعت من الحديث كذا وكذا ، وإني أستغفر الله منها وأتوب إليه[3] » . وهذا أقوى دليل على كون الحديث موضوعا .

---

(١) انظر تدريب الراوي ص ١٠٥ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ١٠٥ ، وفتح المغيث ص ٥٥ ج ١ .
(٣) قبول الأخبار ص ٦ .

٢ — وجود قرينة تقوم مقام الاعتراف بالوضع :

كأن يروى عن شيخ لم يلقه ، أو يروى عن شيخ فى بلد لم يرحل إليه ، أو يروى عن شيخ ولد بعد وفاته ، أو توفى هذا الشيخ والراوى صغير لا يدرك ، قيل لشعبة : لم لا تحدث عن عثمان بن أبى اليقظان ، وهو عثمان بن عمير ؟ فقال : كيف أحدث عن رجل كنت جالسا معه فسألته عن سنه ، فأخبرنى بمولده ثم حدث عن رجل قد مات قبل أن يولد[1] !؟ وإن هذا الصنف لا يمكن معرفته إلا بمعرفة مولد الشيوخ ووفاتهم ، والبلدان التى رحلوا إليها ، والأماكن التى أقاموا فيها ، كيلا ينتحل الوضاعون الشيوخ الثقات لترويج ما يضعون ، وقد وفق علماء الأمة فى هذا ، فقسموا الرواة طبقات ، وعرفوا كل شيء عنهم ، ولم يخف عليهم من أحوالهم شيء ، وفى هذا قال حفص بن غياث : « إذا اتهم الشيخ فحاسبوه بالتاريخ — يعنى احسبوا سنه وسن من كتب عنه — وقال حسان ابن زيد : لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ ، نقول للشيخ : كم سنه ؟ وفى أى تاريخ ولد ؟ فان أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه[2] » .

٣ — أن ينفرد راو معروف بالكذب برواية حديث ، ولا يرويه ثقة غيره فيحكم على روايته بالوضع وقد استقصى جهابذة الأمة الكذابين ، وبينوا ما كذبوا فيه حتى لم يخف منهم أحد .

٤ — ومن القرائن التى يدرك بها الوضع ، ما يؤخذ من حال الراوى ، كما وقع للمأمون بن أحمد ، أنه ذكر بحضرته الخلاف فى كون الحسن سمع من

---

(١) قبول الأخبار ص ٢٦ .

(٢) تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ص٢٦ ج ١ .

أبي هريرة أولا ، فساق في الحال إسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : سمع الحسن من أبي هريرة[١]) .

ومن هذا ما ذكرناه عن سيف بن عمر الذى روى خبر وضع سعد بن طريف لحديث «معلمو صبيانكم شراركم ... »[٢]

* * *

(ب) علامات الوضع في المتن :

مقدمة : قال الإمام ابن قيم الجوزية : (وسئلت : هل يمكن معرفة الموضوع بضابط ، من غير أن ينظر في سنده ؟ فهذا سؤال عظيم القدر ، وإنما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة ، واختلطت بدمه ولحمه ، وصار له فيها ملكة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه ، فيما يأمر به وينهى عنه ، ويخبر عنه ويدعو إليه ، ويحبه ويكرهه ، ويشرعه للأمة بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه ، ومثل هذا يعرف — من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه ، وما يجوز أن يخبر عنه ، وما لا يجوز — ما لا يعرفه غيره ، وهذا شأن كل متَّبِع مع متبوعه ، فللأخص به ، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله في العلم بها والتمييز بين مايصح أن ينسب إليه وما لايصح — ماليس لمن لايكون كذلك . وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم : يعرفون من أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم وأساليبهم ومشاربهم — مالا يعرفه غيرهم)[٣] .

---

(١) قواعد التحديث ص ١٣٣ وقيل للمأمون بن أحمد الهروى : ألا ترى إلى الشافعى ومن تبعه بخراسان ؟ فقال : حدثنا أحمد بن عبد الله . . . عن أنس مرفوعاً يكون في أمتى رجل يقال له محمد بن ادريس أضر على أمتى من إبليس . انظر تدريب الراوى ص١٨١ .

(٢) انظر ص ٢١٧ ـ ٢١٨ في الفصل السابق من هذا الباب .

(٣) المنار لابن قيم الجوزيه ص ١٥ وانظر قواعد التحديث ص ١٤٨ .

قال ابن دقيق العيد : « وكثيراً مايحكمون بذلك (أى بالوضع) باعتبار يرجع إلى المروى وألفاظ الحديث ، وحاصله أنها حصلت لهم بكثرة محاولة ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم هيئة نفسانية وملكة يعرفون بها مايجوز أن يكون من ألفاظه وما لايجوز ، . . . . . فإن معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى .[1] » .

ومن القرائن التى تدل على الوضع فى المتن :

١ — ركاكة اللفظ فى المروى بحيث يدرك من له إلمام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وضعت أحاديث ركيكة تشهد ألفاظها ومعانيها لوضعها . قال الحافظ ابن حجر : « المدار فى الركة على ركة المعنى ، فحيثما وجدت دلت على الوضع ، وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ ، لأن الدين كله محاسن ، والركة ترجع إلى الرداءة ، أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك ، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى ، فغير ألفاظه بغير فصيح ، نعم إن صرح بأنه من لفظ النبى صلى الله عليه وسلم فكاذب . »[2]

٢ — فساد المعنى :

كالأحاديث التى يكذبها الحس ، نحو حديث : الباذنجان لما أكل له ،[3] والباذنجان شفاء من كل داء[4] ، ومنها سماجة الحديث ، وكونه مما يسخر منه كحديث : « لو كان الأرز رجلا لكان حليما ، ما أكله جائع إلا أشبعه[5] » قال ابن قيم الجوزيه : فهذا من السمج البارد الذى يصان عنه كلام العقلاء ، فضلا

(١) توضيح الأفكار ص ٩٤ ج ٢ .
(٢) الباعث الحثيث ص ٩٠ .
(٣ و ٤) المنار لابن قيم الجوزيه ص ١٩ .
(٥) المنار لابن قيم الجوزية ص ٢٠

عن كلام سيد الأنبياء[١] ، وحديث : من اتخذ ديكا أبيض لم يقربه شيطان ولا سحر[٢] ، وكل ما يدل على إباحة المفاسد والسير وراء الشهوات كحديث : ثلاثة تزيد فى البصر : النظر إلى الخضرة ، والماء الجارى ، والوجه الحسن[٣] . وحديث : النظر إلى الوجه الجميل عبادة[٤] . قال ابن قيم الجوزيه : «وكل حديث فيه ذكر حسان الوجوه أو الثناء عليهم ، أو الأمر بالنظر إليهم ، أو التماس الحوائج منهم ، أو أن النار لا تمسهم — فكذب مختلق ، وإفك مفترى[٥] » .

ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عنق الطويل ، الذى قصد واضعه الطعن فى أخبار الأنبياء ، فإن فى هذا الحديث : (أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع ، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين وثلث ، وأن نوحا لما خوفه الغرق ، قال له : احملنى فى قصعتك هذه ، وأن الطوفان لم يطل إلى كعبه ، وأنه خاض البحر ، فوصل إلى حجزته ، وأنه كان يأخذ الحوت من قرار البحر فيشويه فى عين الشمس ، وأنه قلع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى ، وأراد أن يرميهم بها فطوقها الله فى عنقه مثل الطوق[٦]) .

وكذلك كل حديث يشتمل على سخافات لا تصدر عن العقلاء ، فكيف تصدر عن رسول الله الذى أوتى جوامع الكلم كحديث : «المجرة التى فى السماء من عَرَقِ الأفعى التى تحت العرش[٧] »وحديث «المؤمن حلو يحب الحلاوة[٨]»

---

(١) المنار لابن قيم الجوزيه ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١ .

(٣و٤و٥) المنار ص ٢٤ .

(٦) المرجع السابق ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٨) المنار ص ٢٥ .

وحديث « المريسة تشد الظهر[1] » — كلها وأمثالها من وضع الوضاعين الذين افتروا على رسول الله الكذب ، ووضعوا ما يخالف الشريعة وما ينافى رسالة الأنبياء الذين جاءوا يخاطبون أولى الألباب ويأمرون بالمعقول ، ولم تكن رسائلهم لتفضيل طعام على طعام ، وإثارة الشهوات ، ورواية الأساطير والخرافات ، والإتيان بما يرده الحق ويرفضه العقل . وفى هذا كلمة لابن الجوزى قال : « ما أحسن قول القائل : إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه موضوع[2] » .

٣ — ما يناقض نص الكتاب أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعى[3] ، وما يناقض السنة مناقضة بينة :

قال ابن قيم الجوزيه : « ومنها[4] مخالفة الحديث صريح القرآن . كحديث مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة . ونحن فى الألف السابعة[5] . وهذا من أبين الكذب ، لأنه لو كان صحيحا لكان كل أحد عالما أنه قد بقى للقيامة من وقتنا هذا[6] مائتان وخمسون سنة . والله تعالى يقول : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ؟ قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ، لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ . ثَقُلَتْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً . يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ[7] » وقال الله تعالى : « إن اللهَ عِنْدَهُ

(١) المنار ص٢٥ . (٢) تدريب الراوى ص١٨٠ .
(٣) انظر توضيح الأفكار ص ٩٦ ج ٢ .
(٤) أى الأمور التى يعرف بها كون الحديث موضوعا .
(٥) لعله يريد أنه يجىء نهاية عمر الدنيا فى الألف السابعة .
(٦) عاش ابن قيم الجوزيه من سنة (٦٩١ إلى سنة ٧٥٢ هـ) .
(٧) ١٨٧ : الأعراف .

عِلمُ السّاعةِ [١] » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله [٢] » .

ومما وضع مناقضاً للسنة مناقضة بينة (أحاديث مدح من اسمه محمد وأحمد ، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لايدخل النار . وهذا مناقض لما هو معلوم من دينه صلى الله عليه وسلم : أن النار لايجار منها بالأسماء والألقاب ، وإنما النجاة منها بالايمان والأعمال الصالحة) [٣] .

وجميع الأحاديث التي تنص على وصاية على رضى الله عنه أو على خلافته غير صحيحة ، وهي موضوعة ، لأنها تخالف ما أجمعت عليه الأمة من أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص على تولية أحد بعده .

٤ — كل حديث يدّعى تواطؤ الصحابة على كتمان أمر ، وعدم نقله ، كما تزعم الشيعة : (أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد على بن أبي طالب رضى الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم ، وهم راجعون من حجة الوداع ، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع ، ثم قال : « هذا وصيي وأخي ، والخليفة من بعدى ، فاسمعوا وأطيعوا له » ثم اتفق الكل على كتمان ذلك وتغييره ، فلعنة الله على الكاذبين) . [٤]

٥ — كل حديث يخالف الحقائق التاريخية التي جرت في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو اقترن بقرائن تثبت بطلانه . مثل حديث وضع الجزية عن أهل خيبر ، كذب من عدة وجوه :

---

(١) لقمان : ٣٤ .
(٢) المنار ص ٣١ .
(٣ و ٤) المنار ص ٢٢ .

أحدها : أن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وسعد توفى قبل ذلك فى غزاة الخندق .

الثانى : أن الجزية لم تكن نزلت حينئذ ، ولا يعرفها الصحابة ولا العرب وإنما أنزلت بعد عام تبوك ، حين وضعها النبى صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران ويهود اليمن . . . وبين ابن قيم الجوزية كذب هذا فى عشرة أدلة قوية .[1]

ومثاله ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى وائل قال : خرج علينا ابن مسعود بصفين ، فقال أبو نعيم : أتراه بعث بعد الموت[2] . فابن مسعود توفى قبل صفين سنة ٣٢ هجرية .

٦ — « أن يكون خبراً عن أمر جسيم كحصر العدو للحاج عن البيت ، ثم لا ينقله منهم إلا واحد ، لأن العادة جارية بتظاهر الأخبار فى مثل ذلك . قلت : ويمثله الأصوليون بقتل الخطيب على المنبر ، ولا ينقله إلا واحد من الحاضرين[3] » .

٧ — « موافقة الحديث لمذهب الراوى ، وهو متعصب مغال فى تعصبه ، كأن يروى رافضى حديثا فى فضائل أهل البيت ، أو مرجئ حديثاً فى الإرجاء ، مثل ما رواه حبة بن جوين قال : سمعت عليا رضى الله عنه قال : عبدت الله مع رسوله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين ، قال ابن حبان : كان حبة غالياً فى التشيع ، واهيا فى الحديث[4] » .

---

(١) انظر المنار ص ٣٧ — ٣٨ .
(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ص١١٧ ج ١ .
(٣) توضيح الأفكار ص ٩٦ ج ٢ .
(٤) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص١١٨ .

٨ — اشتمال الحديث على مجازفات وإفراط فى الثواب العظيم مقابل عمل صغير، مثال ذلك: « من قال لا إله إلا الله، خلق الله من تلك الكلمة طائرا له سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له » و « من فعل كذا وكذا، أعطى فى الجنة سبعين ألف مدينة، فى كل مدينة سبعون ألف قصر فى كل قصر سبعون ألف حوراء ».

وأمثال هذه المجازفات الباردة التى لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين: إما أن يكون فى غاية الجهل والحمق. وإما أن يكون زنديقا قصد التنقيص بالرسول صلى الله عليه وسلم[1].

وإلى جانب هذه القواعد، فقد تكونت عند أكثر العلماء ملكة خاصة، نتيجة لدراستهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحفظه ومقارنة طرقه، فأصبحوا يعرفون — لكثرة ممارستهم هذا — ما هو من كلام الصادق المصدوق وما ليس من كلامه، وفى هذا يقول ابن الجوزى: (الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم، وينفر منه قلبه فى الغالب[2]) ويقول الربيع بن خثيم التابعى الجليل — أحد أصحاب ابن مسعود —: « إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به، وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها[3] ».

هذه أهم القواعد التى وضعها جهابذة علم الحديث لتمييز الموضوع من

---

(١) المنار ص ١٩.

(٢) الباعث الحثيث ص ٩٠.

(٣) معرفة علوم الحديث ص ٦٢، والمحدث الفاصل ص ٦٣: آ، وانظر الكفاية ص ٤٣١: وذكر الربيع بن خثيم فى بعض المصادر (خيثم) كما فى كتاب (الجمع بين رجال الصحيحين) ص ١٣٤ ج ١ والصواب (خثيم) كما فى طبقات ابن سعد ص ١٢٧ ج ٦ وغيره.

الصحيح ، كما أنهم بحثوا بدقة تامة عن الأحاديث الموضوعة ، وصنفوها حتى تعرف لأهل العلم ولا تشتبه عليهم ، ونلاحظ أن هذه القواعد تناولت الحديث سندا ومتنا ، فلم تقتصر جهود العلماء على نقد سند الحديث فقط دون متنه ، كما ادعى بعض المستشرقين وأيدهم فى ذلك بعض الكاتبين المسلمين ، وسنستعرض بعض آرائهم فى هذا الموضوع ، ليظهر لنا بطلان ما ادعوا وزيف ما زعموا على ضوء ما بيناه .

* * *

الفصل الثالث

آراء بعض المستشرقين وأشياعهم فى السنة ونقدها

١ — رأى جولد تسيهر : يقول الدكتور على حسن عبد القادر : (وهنا مسألة جد خطيرة ، نجد من الخير أن نعرض لها ببعض التفصيل ، وهى (وضع الحديث) فى هذا العصر ، ولقد ساد إلى وقت قريب فى أوساط المستشرقين الرأى القائل « بأن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الدينى والسياسى والاجتماعى للاسلام فى القرنين الأول والثانى ، وأنه ليس صحيحا ما يقال من أنه وثيقة للاسلام فى عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام فى عصر النضوج » ، ويقول فى الهامش هذا الرأى الذى ننقله هو رأى جولد تسيهر فى كتابه « دراسات اسلامية »[1] . وقد انتشر رأى (جولد تسيهر) هذا فى الغرب والشرق وأصبح من مسلمات البحث عند المستشرقين ، كما أن (جولد تسيهر) نفسه بين رأيه فى السنة واضحا فى كتابه « العقيدة والشريعة فى الإسلام » . فقد قال : (ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها ، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم ، وهذه إما قالها الرسول ، أو هى من عمل رجال الإسلام القدامى ، ولكن من ناحية أخرى فإنه ليس من السهل تَبَيُّنُ هذا الخطر المتجدد عن بعد الزمان والمكان من المنبع الأصلى ،

---

(١) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى : ١٢٦ — ١٢٧ ، وانظر دائرة المعارف الإسلامية مادة (حديث) و

Shorter Encyclopadia of Islam by H.A.R. Gibb and J.H. Kramers P, 116.

بأن يخترع أصحاب المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا يرى عليها شائبة فى ظاهرها ، ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه . فالحق أن كل فكرة ، وكل حزب وكل صاحب مذهب ، يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل ، وأن المخالف له فى الرأى يسلك أيضا هذا الطريق ، ومن ذلك لا يوجد فى دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية مذهب أو مدرسة لا تعزز رأيها بحديث أو بجملة من الأحاديث ظاهرها لا تشوبه أية شائبة . ولم يستطع المسلمون أنفسهم أن يخفوا هذا الخطر ، ومن أجل هذا وضع العلماء علما خاصا له قيمته ، وهو علم نقد الحديث ، لكى يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث ، إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة ، ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم فى النقد ليست كوجهات النظر عندنا ، تلك التى تجد لها مجالا كبيرا فى النظر فى تلك الأحاديث التى اعتبرها النقد الإسلامى صحيحة غير مشكوك فيها ، ووقف حيالها لا يحرك ساكنا .

ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة أصولا، وكان ذلك فى القرن السابع الهجرى ، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجرى أنواعا من الأحاديث كانت مبعثرة ، رأوها أحاديث صحيحة)[١] .

إن سوء ظن هذا الباحث فى السنة ظهر فى طيات كتابه المذكور ، فى أبحاث ونقاط كثيرة ، وإنما استشهدت ببعض ما يتناول بحثنا ، ويتجلى لنا مما أوردت عن جولد تسيهر ما يلى :

١ — يرى أن أكثر الحديث نتيجة للتطور الإسلامى السياسى والاجتماعى أى أنه موضوع .

---

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام : ٤٩ — ٥٠ .

٢ — يرى أن رجال الإسلام القدامى (الصحابة والتابعين) كان لهم يد في وضع الأحاديث .

٣ — إن بعد الزمان والمكان من عهد الرسالة يسمح لأصحاب المذاهب أن ينتحلوا الأحاديث لدعم مذاهبهم ، بل ما من مذهب نظرى أو عملى إلا وقد عزز رأيه فى مختلف النواحى العقائدية أو الفقهية أو السياسية حتى فى العبادات بأحاديث ظاهرها لا تشوبه أية شائبة .

٤ — وجهة نظر النقاد المسلمين تختلف عن وجهة نظر النقاد الأجانب الذين لا يسلمون بصحة كثير من الأحاديث التى قرر المسلمون صحتها .

٥ — يصور الكتب الستة بأنها ضم لأنواع من الأحاديث التى كانت مبعثرة رأى جامعوها أنها صحيحة .

هذه النقاط الخمسة هى خلاصة رأى جولد تسيهر فى الوضع والنقد ، وله آراء كثيرة متفرقة خارجة عن اطار بحثنا[1] ، وسنناقش هذه النقاط بايجاز على ضوء ما سبق أن أثبتناه .

١ — إن ما ادعاه من أن أكثر الحديث نتيجة للتطور غير صحيح ، لأن المسلمين منذ القرن الأول ومن عهد الصحابة كانوا يتثبتون فى قبول الأحاديث ، وكانوا يتتبعون الكذابين والوضاعين، وعرفوا الأحاديث الموضوعة والصحيحة . ثم إن القرآن الكريم قد جاء بالقواعد الكلية التى تناسب كل زمان ومكان ولم يتعرض للجزئيات وطرق تنفيذها التى يمكن أن تتبدل وتتغير حسب البيئة والزمان دون أن تؤثر على القواعد الكبرى والأهداف العليا للاسلام ، وترك

---

(١) تصدى الدكتور مصطفى السباعى للمستشرقين ورد عليهم فى كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ورد على جولد تسيهر ردا قيما فليراجع هناك ص ٣٦٤ وما بعدها .

الله تعالى للحكام وسائل التطبيق والتنفيذ فى ظلال الكتاب والسنة والأصول التى تليها . فالمسلمون ليسوا بحاجة إلى اختلاق أحاديث تبرر ما يقومون به نتيجة لحياتهم الجديدة ، فقد كفاهم الله عز وجل هذا بما شرعه لهم من أسس وقواعد خالدة إلى يوم الدين ، رضيها لهم ورضوها لأنفسهم ، وقد قال تعالى :

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً[1] » .

٢ — يرى أن رجال الإسلام القدامى لهم يد فى الوضع . فمن هم رجال الإسلام القدامى إذا لم يكونوا الصحابة والتابعين ؟ فإذا كان يقصدهم فإننا قد بينا فيما سبق احتراز الصحابة عن ذلك وعدم انغماس كبار التابعين فى حمأة الوضع فلا داعى للتكرار .

٣ — إذا كان بعض أهل الأهواء قد استجازوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لدعم أهوائهم فهذا لا يعنى قط أن أصحاب المذاهب الفقهية والسياسية والعقائدية قد اختلقوا الأحاديث لدعم مذاهبهم ، ثم لِمَ يظن السوء بهذه المذاهب؟ولِمَ يدعى كذبها ووضعها بعض الأحاديث ؟ يجب أن يعلم كل إنسان أن الاختلافات الفقهية بين الصحابة أو الفقهاء لم يكن مردها هوى فى النفس أو تعصبا فى الرأى، وإنما كانت لأسباب كثيرة أهمها أن بعض الأحاديث وصلت إلى الأئمة دون بعض فحكموا بها ، أو أنها وصلتهم ولكنها ثبتت عند بعضهم ولم تثبت عند الآخرين ، أو أنها ثبتت عند الجميع واختلفوا فى الاستنباط منها وما إلى هذا[2] ، فالفقهاء جميعا متفقون على اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهل يعقل

(١) ٣ : المائدة .

(٢) انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية وهى رسالة صغيرة جليلة القدر عظيمة النفع .

من هؤلاء أن يكذبوا على رسول الله عليه الصلاة والسلام لدعم مذاهبهم ؟!
وإنما قامت مذاهبهم على القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وشربت من ينبوع
الرسول الصافى عليه الصلاة والسلام .

إن تعميم جولد تسيهر لم يبن على دراسة موضوعية للمذاهب الفقهية
والعقائدية بل اكتفى بما وجده عند أهل الأهواء من الأحاديث الموضوعة ،
أو بما رآه فى كتب بعض أتباع المذاهب الفقهية التى دُسّ فيها بعض الأحاديث
الضعيفة أو الموضوعة ، ثم ألصق هذا بأصحاب هذه المذاهب جريا وراء هواه ،
لدعم رأيه فى وضع أكثر الأحاديث .

٤ — إن وجهة نظر النقاد المسلمين مبنية على القواعد والأصول التى
وضعوها فى نقدهم ، وقد رأينا دقتها وعرفنا قيمتها ، فمن الطبيعى أن تختلف عن
وجهة نظر النقاد الأجانب ، الذين لا يؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم
ولا يعتقدون الإيحاء إليه ، فنحن مختلفون معهم من نقطة البداية ، لأن كثيرا
من الأحاديث التى تتناول العقائد والغيبيات سلمنا بصحتها بعد التحقيق العلمى ،
وسلمنا بكل ما جاء فيها لأنها عن الصادق المصدوق ، فاختلاف وجهة نظرهم
لا يضيرنا ما دمنا قد سلكنا فى نقدنا وبحثنا أسلم طرق البحث العلمى وأدقها ،
وقد شهد لنا بذلك المنصفون منهم .

٥ — أما رأيه فى الكتب الستة : أنها مجموعة من الأحاديث التى ضمها
مؤلفوها بعد أن كانت مبعثرة فى القرن الثالث ، ورأوا أنها صحيحة — فهذا
رأى مردود ، فيه إنكار لجهود العلماء الجبارة التى بذلوها خلال القرن الأول
والثانى فى سبيل صيانة السنة وحفظها ، فالسنة لم تكن مبعثرة متفرقة ، بل كان
معظمها عمليا ، يطبقه المسلمون ، ويقيمون تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على

هداه ، ولم يقتصر هذا على عهد الصحابة والتابعين ، أو على موطن الإسلام الأول، بل انتشرت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام فى القرن الأول والقرون التالية ، وذاعت فى الآفاق عندما حرر المسلمون الأوائل البلاد المجاورة من طغيان الحكام ، وانتقلت السنة العملية والقولية والتقريرية ، جيلا عن جيل، تحفظها صدور الحفاظ وصحفهم إلى أن جمعت فى كتب مصنفة ، وفى أجزاء مبوبة فى منتصف القرن الثانى الهجرى على أيدى كبار العلماء والحفاظ ، وإن ماجمعه البخارى ومسلم وغيرهما فى القرن الثالث لم يكن مبعثرا ، وإنما اختير من ألوف الأحاديث التى كانت عند الحفاظ متوخين الأحاديث الصحيحة وسيتضح هذا لنا جليا عندما نتكلم عن تدوين السنة .

* * *

ثانيا : رأى غاستون ويت : كاتب مقـــــال (الحديث) فى التاريخ العام للديانات .

أورد غاستون ويت رأى جولد تسيهر السابق وأيده[1] ، وتعرض لنقد الحديث فقال : «وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى (السند) ومعرفة الرجال ، والتقائهم وسماع بعضهم من بعض . . . ثم يقول : لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ، ثم جمعه الحفاظ ودونوه ، إلا أن هؤلاء لم ينقدوا « المتن » ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف إليه الرواة شيئاً عن حسن نية فى أثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعى أن يكونوا قد زادوا شيئاً عليه فى أثناء

---

(١) انظر : Histoire Générale Des Religions (Islam) P. 366.

روايتهم (لأنه كان بالمشافهة) ، ومهما كان هذا الرأى صحيحاً فإن المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح[1] » .

* * *

ثالثا — رأى الأستاذ أحمد أمين :

قال : (وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ، ولكنهم — والحق يقال — عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن ، فقل أن نظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم لا يتفق والظروف التى قيلت فيه ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفى يخالف المألوف فى تعبير النبى ، أو أن الحديث أشبه فى شروطه وقيوده بمتون الفقه ، وهكذا ، ولم نظفر منهم فى هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم ، حتى نرى البخارى نفسه — على جليل قدره ، ودقيق بحثه — يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال ، كحديث : «لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة» وحديث «من اصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل . »[2]) .

إن ما ذكره (غاستون ويت) والأستاذ أحمد أمين — فيه حيف وظلم للجهود التى بذلها علماء السنة لحفظ الحديث الشريف وتخليصه من كل ما يشوبه فإن علماء الجرح والتعديل تناولوا نقد سند الحديث كما تناولوا نقد متنه ، وإن الجهود التى بذلوها فى نقد المتن لا تقل عن جهودهم فى نقد السند ، وقد لمسنا تلك

---

(١) Histoire Générale Des Religions, P, 365. (Islam)

(٢) فجر الإسلام ص ٢١٧ — ٢١٨ .

الجهود حينما استعرضنا القواعد التي وضعوها لتمييز الموضوع من الصحيح . ونستطيع أن نرد على كل من يدعى أن نقد العلماء كان منصبا على (السند) دون (المتن) بأنهم — كما وضعوا علامات لتمييز السند الضعيف من السند الصحيح — وضعوا علامات تميز متن الخبر الموضوع عن غيره ، وهذه العلامات ثمانية للمتن وأربعة للسند ، كما ثبت لدينا ، فهل بقيت مع هذا حجة لدعم ذلك الزعم ! ؟ .

وأما ما ادعاه (غاستون ويت) من زيادة الرواة شيئا على ما يروونه عن حسن نية ، فهذا مدفوع بما حققه العلماء فى أبحاثهم الدقيقة عن زيادة الراوى شيئا على الخبر ، وبينوا أن هذه الزيادة قد تكون فى المتن أو فى الإسناد[1] ، وما يضيفه الراوى يسمى (المدرج) والادراج على الحقيقة إنما يكون فى المتن ، وبينوا صور المدرج ونصوا على كثير من إدراجات الرواة ، فلم يلتبس على على علماء الأمة المدرج ، بل عرفوا كل ذلك .

ومعظم ما أدرج كان نتيجة لتفسير الشيخ ، يسمعه الطالب فيظنه من الحديث .

وقد عرف العلماء هذا ، وبينوا أن ما يقع من الراوى خطأ من غير عمد فلا حرج على المخطىء ، إلا إنْ كثُرَ خطؤه ، فيكون جرحا فى ضبطه واتقانه[2] ويعرف ما أدرجه الراوى بإقراره ، أو بمقارنة طرق الخبر ، فيتبين بهذه المقارنة ما أدرج من قبل الراوى . وقد عرف النقاد هذا كله ونصوا عليه .

وأما ما قاله الأستاذ أحمد أمين من أن (البخارى نفسه على جليل قدره

---

(١) انظر الباعث الحثيث ص ٨٠ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ٨٤ .

ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة ، لاقتصاره على نقد الرجال) . فهذا حكم لا نوافقه عليه ولا نقول به ، لأن ما استشهد به لدعم رأيه لا يثبت هذا بل يعارضه ، بل إن حديث « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة » صحيح ، وقد فهمه الأستاذ فهما مخالفا للحقيقة ، وذهب فى تأويله مذهبا بعيدا كل البعد عن الصواب ، فقد رُوى هذا الحديث من طرق عدة فسر بعضها بعضا ، فالمراد من الحديث أنه عند انقضاء مائة سنة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يبقى أحد ممن كان موجودا فى عهده صلى الله عليه وسلم حين قال هذا النبأ ، وفعلا كان هذا الخبر من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام لأنه لم يبق أحد ممن كان فى عهده عليه الصلاة والسلام أكثر من مائة عام ، فكل ما فى الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه أنهم لن يعمروا كما عمر من قبلهم من الأمم[1] ، ولذلك عليهم أن يجدوا فى طاعاتهم ، ويعملوا فى دنياهم لآخرتهم وليس فى هذا ما يخالف الحوادث الزمنية والمشاهدات التجريبية ، ويقول الدكتور مصطفى السباعى : (فأنت ترى أن هذا الحديث الذى كان فى الواقع معجزة من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ينقلب فى منطق النقد الجديد الذى دعا إليه صاحب فجر الإسلام إلى أن يكون مكذوبا مفترى ! .)[2]

وأما حديث « من اصطبح كل يوم سبع تمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك

---

(١) انظر فتح البارى ص ٢٢٢ جـ ١ ذكر البخارى بعض الحديث وبين ابن حجر أقوال العلماء فيه وأشار إلى الحديث كاملا فى (كتاب الصلاة) حيث تفسيره واضح كما بينا ، وانظر تأويل مختلف الحديث ص ١١٩ ، وانظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢٥٩ ـ ٢٦٣ حيث فند الدكتور السباعى أخطاء الأستاذ أحمد أمين ورد عليه ردا مفصلا .

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢٦١ .

اليوم إلى الليل » فقد أخرجه الإمام البخارى فى (كتاب الطب)[١] كما أخرجه الإمام مسلم[٢] والإمام أحمد[٣]، وقد بين العلماء هذا الحديث فمنهم من خصصه بتمر المدينة اعتمادا على الأحاديث المقيدة بذلك ومنهم من أطلقه ، (والذى ارتضاه الأكثرون تخصيصه بعجوة المدينة ، قال ابن القيم فى زاد المعاد : « والتمر غذاء فاضل حافظ للصحة ، ولاسيما لمن اعتاد الغذاء به . . . ونفعُ هذا العدد من التمر ، من هذا البلد ، من هذه البقعة بعينها — من السم والسحر بحيث تمنع إصابته — من الخواص التى لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والانقياد ، مع أن القائل إنما معه الحدس والتخمين والظن . فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحى ، أولى بأن تتلقى أقواله بالقبول وترك الاعتراض . هذا خلاصة ما ذكروه فى هذا المقام .

والذى أراه أن المبادرة إلى تكذيب حديث ورفضه لا تصح ، إلا إذا وهن طريقه ، أو حكم العقل والطب حكما قاطعا بتكذيبه وبطلانه ، وهذا الحديث قد صح سنده من غير طريق عن أئمة الحديث ، ورواه ثقات عدول لا مجال لتكذيبهم ومتنه صحيح على وجه الإجمال ، إذ أثبت للعجوة فائدة ، وحض على أكلها ومن المقرر حتى فى الطب الحديث أن العجوة مغذية ، ملينة للمعدة ، منشطة للجسم ، مبيدة للديدان المنتشرة فيه ، ولا شك فى أن الأمراض الداخلية : من تعفن الأمعاء وانتشار الديدان — سموم تودى بحياة الإنسان إذا استفحل أمرها ، وإذا فالحديث من حيث معالجة العجوة للسموم بالجملة صادق لا غبار عليه ، أما السحر فإذا ذهبنا إلى أنه مرض نفسى ، وأنه يحتاج إلى علاج نفسى وأن الإيحاء النفسى له أثر كبير

---

(١) صحيح البخارى بشرح السندى ص ٢٠ ج ٤

(٢) صحيح مسلم ص ١٦١٨ ج ٣ .

(٣) فى مسنده حديث ١٤٤٢ ، ١٥٢٨ ، ١٥٧١ ، ١٥٧٢ ج ٣ .

فى شفاء المرضى بمثل تلك الأمراض ، وإذا أخذنا العجوة على أنها مغذية مفيدة للجسم ، مقوية للبنية ، قاتلة للديدان ، قاضية على تعفن الفضلات وأنها من عجوة المدينة ، مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا علاج وصفه عليه الصلاة والسلام وهو الذى لا ينطق عن الهوى فلا أشك فى أن ذلك يحدث أثرا طيبا فى نفس المسحور .

(إنك لا تشك معى فى أن إقدام مؤلف « فجر الإسلام » على القطع بتكذيب هـذا الحديث جرأة بالغة منه ، لا يمكن أن تقبل فى المحيط العلمى بأى حال ، ما دام سنده صحيحا بلا نزاع ، وما دام متنه صحيحا على وجه الإجمال ولا يضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ما دل عليه من خواص العجوة ويقينى أنه لو كان فى الحجاز معاهد طبية راقية ، أو لو كان تمر العالية موجودا عند الغربيين ، لاستطاع التحليل الطبى الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة ، ولعله يستطيع أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة ، إن لم يكن اليوم ففى المستقبل إن شاء الله [١]) . انتهى ما نقلناه عن الدكتور مصطفى السباعى .

ولم يكتف الأستاذ أحمد أمين بما ذكرناه ، بل حاول أن يستشهد بأحاديث عدة على اكتفاء النقاد بنقد السند دون المتن ، إلا أنه لم يوفق إلى إثبات ما ادعى بما استشهد به ، وما من حديث استشهد به إلا فند العلماء القول فيه ، وبينوا طرقه ، وأزالوا كل ما قد يستشكله الباحثون وأهل الأهواء [٢] .

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢٦٣ ــ ٢٦٦

(٢) رد أستاذنا الدكتور مصطفى السباعى على الأستاذ أحمد أمين جميع شبهاته ردا علميا قويا فليراجع فى كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢١٢ ــ ٣٠٣ وما يتعلق بموضوعنا هذا ص ٢٦٦ ــ ٢٧١ .

الفصل الرابع

أشهر ما ألف فى الرجال والموضوعات

وهو ثمار جهود العلماء فى المحافظة على الحديث

كان لظهور الوضع أثر بعيد فى نفوس العلماء حملهم على بذل تلك الجهود العظيمة للمحافظة على الحديث ، وكان الوضع من الأسباب القوية التى دفعت العلماء إلى جمع الحديث وتدوينه وتصنيفه ، حرصا منهم على صيانته من عبث الوضاعين . وقد عبر الامام الزهرى عن هذا فقال : (لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثا ، ولا أذنت فى كتابه[1]) .

وقد فصلت القول فى جمع الحديث الشريف وتصنيفه فى الباب الرابع من هذا الكتاب ، وفيه يتجلى لنا اهتمام العلماء بجمع الحديث ، وتخليصه من الموضوع ، ثم حرصهم على تصنيف الصحيح منه .

والآن سنستعرض آثار العلماء فيما صنفوه من كتب كان لها الأثر الطيب فى حفظ الحديث النبوى ، فيما يتناول موضوعنا من الرجال وتاريخهم وأحوالهم ، وكناهم وألقابهم وأنسابهم وضبط أسمائهم ، وبيان الثقات والضعفاء منهم ، وما ألف فى الموضوع وغير ذلك — وإن كان قد ألف بعد هذا العصر — مما كان له فضل فى صيانة الحديث . وتعتبر هـذه المؤلفات حصنا منيعا حول الحديث ، تتحطم على جنباته سهام أعداء السنة ، وستبقى أعظم دليل على اهتمام

---

(١) تقييد العلم ص١٠٨ .

المسلمين بسنة رسولهم صلى الله عليه وسلم ومساهمتهم فى بناء تراث الانسانية العلمى.

وقد اعتنيتُ بجمع هذه المؤلفات، وحاولت حصرها مما طالعته من المطبوع منها والمخطوط، ومما ذكره السيد محمد الكتانى فى كتابه (الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) الذى ذكر فيه مؤلفات كثيرة فى الحديث وعلومه . وما ذكره الأستاذ عمر كحالة فى كتابه (معجم المؤلفين) وما ذكره الأستاذ خير الدين الزركلى فى (الأعلام) ، وما مر علىّ من كتب لبعض علماء الحديث ورواته فى طيات تراجمهم مما لم يذكر فى هذه الكتب وما وجدته فى فهارس دور الكتب — وكان من العسير حصر جميع ما ألف فى موضوعنا هذا — وإذا بى أمام ثروة علمية ضخمة تربى على نيف وخمسين ومائتى مؤلف ، ورأيت المقام يضيق عن ذكرها ، ولهذا فضلت أن أكتفى بذكر بعض المشهور منها .

أولا : أشهر الكتب التى ألفت فى الصحابة :

كان الصحابة والتابعون وأتباعهم يعرفون من له صحبة ، وخاصة من عانى منهم نقل الحديث وروايته عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يحفظون أسماء كثير منهم ، وقد حرص العلماء على حصرهم ، وبيان مروياتهم وأحوالهم وأوطانهم وتاريخ وفاة كل منهم ، وقد جمعتُ قريبا من أربعين مؤلفا فى الصحابة منها :

١ — (معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان) فى خمسة أجزاء للامام الثقة صاحب التصانيف الكثيرة أبى الحسن على بن عبد الله المدينى (١٦١ — ٢٣٤ هـ)[1] .

---

(١) الرسالة المستطرفة ص ٩٥

٢ — (كتاب المعرفة) فى مائة جزء وهو فى معرفة الصحابة للامام أبي محمد عبد الله بن عيسى المروزى مفتى مرو وعالمها (٢٢٠ — ٢٩٣ هـ[١]).

٣ — (كتاب الصحابة) فى خمسة أجزاء للامام محمد بن حبان أبى حاتم البستى (٢٧٠ — ٣٥٤ هـ[٢]).

٤ — (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) لأبى عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر النمرى القرطبي المالكى (٣٦٨ — ٤٦٣ هـ)، وقد طبع فى مجلدين بالهند سنتى (١٣١٨، ١٣١٩ هـ)، ثم طبع أخيرا فى أربعة أجزاء بمصر، وقد سماه بهذا الاسم ظنا منه أنه استوعب الأصحاب، ولكنه فاته كثير منهم، وفيه خمسمائة وثلاثة آلاف ترجمة[٣].

٥ — (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) فى خمس مجلدات للمؤرخ عز الدين أبى الحسن على بن محمد (ابن الأثير) (٥٥٥ — ٦٣٠ هـ)، وطبع الكتاب سنة (١٢٨٦ هـ[٤]) فى مصر، وفيه سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون ترجمة.

٦ — (تجريد أسماء الصحابة) فى جزأين للامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ — ٧٤٨ هـ)، وقد طبع بالهند سنة (١٣١٠ هـ[٥]).

---

(١) الرسالة المستطرفة ص٩٥، ومعجم المؤلفين ص١٣٥ ج٦.

(٢) الأعلام ص٣٠٦ ج٦.

(٣) راجع نسخة دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح الحديث ١٥٩ و١٦١ و٢٥٧) كما طبع الاستيعاب على هامش كتاب الاصابة فى مصر سنة (١٣٢٨ هـ) فى أربع مجلدات، يوجد منها فى دار الكتب المصرية عدة نسخ تحت رقم (مصطلح الحديث : ٢٢٩ و ٢٣٠). واختصر الاستيعاب العلامة محمد بن يعقوب الخليلى فى كتاب سماه (اعلام الاصابة بأعلام الصحابة) مخطوط فى دار الكتب تحت الرقم (١٠٩ مصطلح). وذيل غير واحد على الاستيعاب.

(٤) راجع نسخة دار الكتب المصرية (مصطلح الحديث ١٠٣).

(٥) راجع نسخة دار الكتب المصرية (مصطلح الحديث ٢٦٣).

٧ — (الإصابة فى تمييز الصحابة) للإمام شهاب الدين أحمد بن على الكنانى العسقلانى (ابن حجر) صاحب التصانيف الكثيرة (٧٧٣ — ٨٥٢ هـ) وهو أجمع ما كتب فى هذا الباب، وقد طبع سنة (١٨٥٣ م) بالهند، ثم طبع فى مصر سنة (١٣٢٣ هـ) فى ثمانية أجزاء، جعلت الستة الأولى منها للأسماء، وفيها (٩٤٧٧) ترجمة والمجلد السابع للكنى، وفيه (١٢٥٧) كنية والمجلد الثامن فى تراجم النساء، وهن (١٥٤٥) ترجمة[1].

٨ — (الرياض المستطابة فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة) للشيخ يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى (٨١٦ — ٨٩٣ هـ) وقد طبع فى (٩٢) صفحة بالهند سنة (١٣٠٣ هـ)[2].

٩ — (در السحابة فى من دخل مصر من الصحابة) لخاتمة الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٨٤٩ — ٩١١ هـ). وهو جزء صغير طبع فى أول كتابه (حسن المحاضرة) بمصر سنة (١٣٢٧ هـ).

١٠ — (البدر المنير فى صحابة البشير النذير) للشيخ محمد قائم بن صالح السندى الحنفى القادرى، كان حيا قبل سنة ١١٤٥ هـ، وقد ذكر فى كتابه أسماء الصحابة الذين وردت صحبتهم بطريق الرواية أو بما يدل على الصحبة بأى طريق[3].

---

(١) النسخة التى وصفناها مطابقة لنسخة الهند، محفوظة فى خزانة قسم الإرشاد فى دار الكتب المصرية، وطبعت الإصابة طبعات أخرى مختلفة منها طبعة مصر سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م).

(٢) ذكر فى هذا الكتاب من له رؤية للرسول صلى الله عليه وسلم ورواية فى الصحيحين، وقد رتبه على الحروف، وذكر ما روى له الشيخان فى كتابهما ثم ما اتفقا عليه ثم ما انفرد به البخارى ثم ما انفرد به مسلم. وذكر للصحابى من روى عنه من أصحاب الكتب الأربعة. راجع الكتاب المذكور فى دار الكتب المصرية (مصطلح ١٦٢) وهو كتاب مفيد.

(٣) ويسمى هذا الكتاب أيضا (تيسير المرام بذكر صحابة أفضل من طاف ببيت الله الحرام أو شموس الهدى فى صحابة المصطفى المقتدى) وهو مخطوط فى (٢٨٧) ورقة مسطرتها =

وهناك كتب كثيرة اشتقت من هذه الأصول ، كما اختصر بعض العلماء بعض هذه الكتب أو ذيلوا عليها .

فهناك ذيول على (الاستيعاب) لابن عبد البر ، كذيل ابن فتحون الأندلسى (ــ ٥١٧ هـ) ، وذيل أبى الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد (ــ ٥٥٨ هـ) ، وغيرها من الذيول والمختصرات[١] .

كما اختصر الإمام السيوطى كتاب الإصابة ، وسماه (عين الإصابة فى معرفة الصحابة[٢]) .

ثانيا — أشهر ما صنف فى تواريخ الرجال وأحوالهم :

وإذا انتقلنا إلى أخبار الرواة وأحوالهم نرى مصنفات مختلفة المنهج .

فمن المحدثين والمؤرخين من صنف كتبه على ترتيب السنين ، ومنهم من صنف حسب البلدان ، ومنهم من رتب كتبه على الحروف ، كما هى الحال فى كتب التراجم ، وآخرون جعلوا الرجال على طبقات أو أجيال .

وتتفاوت هذه المصنفات بين اسهاب واختصار ، فنرى الإيجاز فى كتب التراجم ، والتفصيل فى التواريخ الكبيرة كتاريخ دمشق ، وتاريخ بغداد ، وتاريخ الإسلام ، وقد جمعت نيفاً وتسعين كتاباً أقتصر على ذكر أشهرها ،

== ٢١ سطرا : ٢١ × ١٢ سم توجد نسخة منه فى دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح : ٣٢٥) .

(١) اختصر الشيخ محمد بن محمد السندروسى الشافعى الطرابلسى (ــ ١١٧٧ هـ) كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وسماه (الشموس المضية فى ذكر أصحاب خير البرية) وهو مرتب على حروف المعجم حذف منه التطويل فى ذكر الأنساب والأشعار . وذكر فيه ما للصحابى من أحاديث فى الصحيحين أو فى أحدهما . والكتاب مخطوط فى (٣١٨) ورقة مسطرتها ٢٥ سطرا : ٢٠ × ١٤ سم . فى دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح : ١٣٠) .

(٢) الرسالة المستطرفة ص ١٥٣ .

فنتعرض أولا أشهر ما كتب فى التاريخ والتراجم التى تناولت أحوال الرجال ، ثم نتناول بالبحث كتب الطبقات .

(أ) كتب فى تواريخ الرجال وأحوالهم :

١ — (تاريخ الرواة) للامام يحيى بن معين (١٥٨ — ٢٣٣ ﻫ) وهو مرتب على حروف المعجم[١] ، وله أيضا (معرفة الرجال) و (التاريخ والعلل[٢]) .

٢ — (التاريخ) فى عشرة أجزاء للمحدث النسابة الاخبارى خليفة ابن خياط الشيبانى العصفرى (— ٢٤٠ ﻫ[٣]) .

٣ — (التاريخ) للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١ ﻫ)[٤] .

٤ — (التاريخ الكبير) لسيد الحفاظ وأميرهم الامام محمد بن اسماعيل البخارى أبى عبد الله (١٩٤ — ٢٥٦ ﻫ) وهو تاريخ عظيم ذكر فيه أسماء من روى عنه الحديث ، وكأنه حاول استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم إلى طبقة شيوخه ، فبلغ عددهم قريبا من أربعين ألفا ، بين رجل وامرأة وضعيف وثقة[٥] ، وقد قدر شيوخه ومعاصروه تاريخه هذا ، حتى إن شيخه الامام اسحاق ابن ابراهيم (ابن راهُوية) لما رأى التاريخ لأول مرة فرح به كثيرا ، ودخل به على الأمير عبد الله بن طاهر فقال : « أيها الأمير ألا أريك سحرا[٦] » . والكتاب فى أربعة أجزاء كبيرة ، رتبه على حروف

(١) انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٦ — ٩٧ ، وتاريخه معروف باسمه (تاريخ ابن معين) .
(٢) انظر معجم المؤلفين ص٢٣٢ ج١٣ .
(٣) انظر الأعلام ص ٣٦١ ج ٢ .
(٤) الأعلام ص ١٩٢ ج ١ .
(٥) الرسالة المستطرفة ص ٩٦ .
(٦) مقدمة فتح البارى ص ٤٨٤ .

المعجم[1] ، وفيه قال التاج السبكى : (إنه لم يسبق إليه ، ومن ألف بعده فى التاريخ أو الأسماء أو الكنى فعيال عليه[2]) وطبع التاريخ الكبير فى ثمان مجلدات فى حيدر آباد[3] سنة (١٣٦١ ـ ١٣٦٢هـ) ، وله أيضا التاريخ الوسط والصغير ، وقد طبع التاريخ الصغير بالهند سنة (١٣٢٥ هـ) وهو ثمانية أجزاء صغيرة فى مجلد واحد[4] .

٥ ـ (التاريخ الكبير) للمؤرخ الأندلسى أحمد بن سعيد بن حزم الصدفى أبى عمر (٢٨٤ ـ ٣٥٠ هـ) وهو فى المحدثين ، قال ابن الفرضى : بلغ الغاية ، وقال ابن خير : خمسة وثمانون جزءا[5] .

٦ ـ (الهداية والارشاد فى معرفة أهل الثقة والسداد) لأبى النصر أحمد ابن محمد بن الحسين الكلاباذى (٣٠٦ ـ ٣٩٨ هـ) ذكر فيه الذين

---

(١) بدأ بالمحمدين تعظيما لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتوج غرة كتابه باسم الرسول عليه الصلاة والسلام ونسبه الشريفين . وقد جعل لكل اسم بابا ورتب الأسماء فى الباب الواحد على حروف المعجم وراعى هذا فى الحرف الأول من أسماء الآباء أيضا . ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء حسب حروف المعجم فذكر (باب ابراهيم ثم باب اسماعيل ، ثم باب اسحاق ثم باب أيوب ثم باب أشعث ثم باب إياس وهكذا وذكر اسم المترجم له وبعض من روى عنهم وبعض من روى عنه وقد يذكر حديثا له ، وقلما يذكر جرحا أو تعديلا وإذا كان صحابيا أشار إلى ذلك .

(٢) الرسالة المستطرفة ص٩٦ .

(٣) انظر الجزء الأول مطبوعا فى مجلدين فيهما (٢٨٩٤) ترجمة فى خزانة دار الكتب المصرية تحت رقم (ح ١٠٣٤٠) ويوجد من التاريخ الكبير فى دار الكتب المصرية الأجزاء (١و٢ و٤) مصورة فى ست مجلدات عن النسخة المخطوطة بمكتبة آيا صوفيا بالآستانة ، ينتهى الجزء الأول والثانى منها فى آخر باب الطاء ويبتدىء الرابع من ترجمة عباس إلى آخر الكتاب . راجع النسخة تحت الرقم (٢ درغ : ١٨٩٠) .

(٤) توجد عدة نسخ منه فى دار الكتب المصرية منها تحت الرقم (تاريخ ٢٠٤و٢٧٠٧) .

(٥) انظر الأعلام ص١٢٦ ج ١ ، ومعجم المؤلفين ص ٢٣٢ ج ١ .

خرجهم الإمام البخاري في جامعه [1] .

٧ — (تاريخ نيسابور) لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، المعروف بابن البيع (٣٢١ — ٤٠٥ هـ) قال فيه السبكي : وهو عندي من أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة ، ومن نظره عرف تفنن الرجل في العلوم جميعها [2] ، وله أيضا (تراجم الشيوخ) ، و (تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم) [3] .

٨ — (تاريخ بغداد) لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد البغدادي الشافعي المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢ — ٤٦٣ هـ) وهو من أجل الكتب وأعودها فائدة ، ذكر فيه رجالها ومن ورد إليها وضم إليه فوائد جمة ، وقد رتبه على حروف المعجم ، وذكر فيه الثقات والضعفاء والمتروكين ، وعليه ذيولات متعددة ، وقد طبع بالقاهرة سنة (١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م) في أربعة عشر جزءا تضم (٧٨٣١) ترجمة .

٩ — (السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة الراويين عن شيخ واحد) للخطيب البغدادي أيضا [4] .

---

(١) توجد منه نسخ مخطوطة في دار الكتب المصرية منها نسخة كاملة تحت الرقم (١٦ مصطلح) تم نسخها سنة (٨٢٥هـ) في (٢١٥) ورقة ومسطرتها ١٧ سطرا : ١٧ × ٥ر١٣ سم ونسخة ثانية مقابلة ومعارضة تحت الرقم (٧٦ مصطلح . تم نسخها في سنة (٥٤٤) وفي أول هذه النسخة نقص . ورتبه على حروف المعجم وبدأ باب الألف بمن اسمه أحمد وباب الميم بمن اسمه محمد تشريفا لإسمه صلى الله عليه وسلم .

(٢) ومما يؤسف له أن الكتاب مفقود ، وقد اطلعت على قطعة منقولة ومنتخبة منه في (٧٤) لوحة في فلم محفوظ تحت الرقم (٦٥٧ تاريخ) ، في معهد المخطوطات بالجامعة العربية .

(٣) الأعلام ص ١٠١ ج ٧ ، والرسالة المستطرفة ص ٩٩ .

(٤) انظر المخطوط رقم (٣٨١ مصطلح) في دار الكتب المصرية وهو في (١٤٨) لوحة مصورة ، يذكر في هذا الكتاب من روى عنه راويان أو أكثر وبين وفاتيهما أمد كبير مثال ذلك (أحمد بن محمد بن حنبل . . . حدث عنه أبو عبد الله بن ادريس الشافعي . . . وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، وبين وفاتيهما مائة وثلاث عشرة سنة)

١٠ — (الجمع بين رجال الصحيحين) : صحيح البخاري ومسلم للإمام الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني الشيباني (٤٤٨ — ٥٠٧ هـ) جمع فيه بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر أحمد ابن علي الأصبهاني في رجال البخاري ومسلم . وطبع هذا الكتاب بالهند سنة (١٣٢٣ هـ) في (٦٣٨) صفحة في مجلدين [1] . وللمؤلف أيضا (تاريخ أهل الشام ومعرفة الأئمة منهم والأعلام) مجلدان و (إيضاح الإشكال فيمن أبهم اسمه من النساء والرجال) [2] وله (المغني في أسماء رجال الحديث) طبع في آخر (تقريب التهذيب بالهند سنة (١٣٢٠ هـ) .

١١ — (تاريخ دمشق) في ثمانين مجلدا أو أكثر [3] ، للحافظ المؤرخ أبي القاسم علي بن الحسين (ابن عساكر) الدمشقي (٤٩٩ — ٥٧١ هـ) وهو كتاب عظيم جامع ، وقد اختصره الشيخ عبد القادر بدران بحذف الأسانيد والمكررات وسمى المختصر (تهذيب تاريخ ابن عساكر) ، طبع منه سبعة أجزاء في دمشق ابتداء من سنة (١٣٢٩ هـ) . ولابن عساكر أيضا (تاريخ المزة) ،

---

(١) انظر نسخ دار الكتب المصرية منها تحت رقم (١٧١ و ٢٦٤ مصطلح وقد) استدرك المقدسي في كتابه هذا ما فات الكلاباذي والأصبهاني ، واختصر بعض ما يستغنى عنه من التطويل ، ورتبه على حروف المعجم ، وابتدأ حرف الألف بمن اسمه (أحمد) وحرف الميم بمن اسمه (محمد) تبركا باسمه صلى الله عليه وسلم ، ويترجم أولا لمن اتفقا عليه ثم لمن أفرده البخاري ثم لمن أفرده مسلم .

(٢) الأعلام ص ٤١ ج ٧

(٣) انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٩ وهذا الكتاب يشتمل على ذكر من حل دمشق من أماثل البرية ، واجتاز بها أو بأعمالها من ذوي الفضل والمزية . . . والفقهاء والقضاة العلماء . . . وإيراد ما ذكروه من تعديل وجرح وحكاية عنها . . . وقد رتبه على التراجم وبدأ بمن اسمه (أحمد) تبركا باسمه صلى الله عليه وسلم ، وسلك في تأليفه مسلك الخطيب البغدادي في تاريخه ، يوجد منه في دار الكتب المصرية في قسم المخطوطات (٢٧ ح ٤ ا).

و (معجم القسوان) ، و (معجم الشيوخ والنبلاء[١]) ، و (المعجم المشتمل على أسماء الكتب الستة) ، قال فى مقدمته : أما بعد ، (فإنى لما أخرجت أحاديث كتب السنن الأئمة الأول ورتبتها ترتيبا لا يفضى بالناظر إلى السآمة والملل ، رأيت أن أجمع أسماء شيوخهم الثقات النبل ، وأضيف إليها أسماء شيوخ البخارى ومسلم[٢]) .

١٢ — كتاب (الكمال فى أسماء الرجال) فى مجلدين[٣] للحافظ أبى محمد عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الجاعيلى الحنبلى الدمشقى (٥٤١ — ٦٠٠هـ) .

١٣ — (جامع الأصول لأحاديث الرسول[٤]) لمجد الدين أبى السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير (٥٤٤ — ٦٠٦هـ) .

١٤ — (المعجم) فى تاريخ المحدثين فى ثمانية عشر جزءا . لأبى المظفر عبد الكريم بن منصور السمعانى (٠٠ — ٦١٥هـ[٥]) .

١٥ — (التدوين فى ذكر أخبار قزوين) لأبى القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى (٥٥٧ — ٦٢٣هـ) ذكر فيه خصائصها ، وما ورد فيها من

---

(١) انظر الأعلام ص ٨٢ جـ ٥ .

(٢) راجع مخطوطة دار الكتب المصرية (مصطلح : ٣٣٧) وهى فى (١٠٠) ورقة ومسطرتها ١٣ سطرا .

(٣) راجع النسخة المخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٥ مصطلح) وهى ثلاثة أجزاء فى مجلدين فى (٣٢٧ و ٢٩٠) ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا .

(٤) يوجد من الكتاب المذكور فى دار الكتب المصرية مجلد واحد فيه الجزءان التاسع والعاشر ، وبه ينتهى الكتاب ، وهو فى أسماء الرجال والصحابة ، فى (٢٥٥) ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرا : ٢٧ × ١٨ سم تحت رقم (مصطلح : ٢٢٥ طلعت) .

(٥) انظر الرسالة المستطرفة ص ١٠٣ .

الأخبار النبوية والآثار ، وفى أسمائها ، ومن وردها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن عرف بنوع من العلم والدراسة من سكانها وأهلها ، ومن توطنها وغيرهم ، ورتب التراجم على الحروف وابتدأه بذكر المحمدين تبركا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو فى أربع مجلدات مصورة فى فى دار الكتب المصرية [1] .

١٦ — (التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد) للحافظ محمد بن عبد الغنى ابن أبى بكر معين الدين : (ابن نقطه) الحنبلى البغدادى (— ٦٢٩ هـ [2]) وقد ذيل عليه تقى الدين محمد بن أحمد الحسنى الفاسى المكى المالكى (— ٨٣٢ هـ) [3] .

١٧ — (تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) للحافظ جمال الدين أبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى الدمشقى (٦٥٤ — ٧٤٢ هـ) ؛ وهو تهذيب لما جمعه الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى فى كتابه (الكمال فى أسماء الرجال) : رجال البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فرتب المزى فى تهذيبه عامة رواة العلم وحملة الآثار وعامة المشهورين من كل طائفة من طوائف أهل العلم على حروف المعجم ، ثم ذكر أسماء

---

(١) انظر الكتاب فى خزانة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٦٤٨ : تاريخ) .

(٢و٣) جمع فيه كل من علمه روى شيئا من كتب السنة كالموطأ والصحيحين والسنن الأربعة ، وصحيح ابن حبان ومن المعاجم والمسانيد للامامين الشافعى وابن حنبل ، ومن كتب السير والتوارخ والأدب للبيهقى .

انظر النسخة الموصوفة فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (ب ٢٠٨٨٦) وهى مصورة فى (٣١٧) لوحة فى كل لوحة صفحتان ، ومسطرتها ٢٥ سطرا : ٢٢ × ٢٦ سم .

النساء ، وقد استغرق تأليفه من سنة (٧٠٥ — ٧١٢ هـ) وهو خمسون جزءا في اثني عشر مجلدا[1] .

١٨ — (تذهيب تهذيب الكمال[2]) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ — ٧٤٨ هـ) وفيه اختصر (تهذيب الكمال) للمزي ثم اختصره أيضا في كتابه (الكاشف عن رجال الكتب الستة) ، واقتصر فيه على من له رواية في هذه الكتب ، ووضع رموزا لمن أخرج له من أصحاب الكتب الستة أو أحدهم أو بعضهم ، وذكر تواريخ وفياتهم ، ورتبه على حروف المعجم ، وبدأ في حرف الألف بالأحمدين ، وفي حرف الميم بالمحمدين ، تشريفا لاسمه عليه الصلاة والسلام[3] .

١٩ — (تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام) للامام الذهبي أيضا .

---

(١) توجد نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٥ مصطلح) وقد كتبت العشرة المجلدات الأولى بين سنتي (٧٤٠ و ٧٤٨ هـ) وعدة أوراق الجميع على التوالي : ٣٩١/٤٠٨/٣٢٢/٤١١/٤٥٦/٤٠٣/٣٧٤/٤٢٦/٣٩٢/٣٧٥/٣٥٤/٣٣٦ ورقة . وقد استدرك المحدث الحافظ علاء الدين مغلطاي (٦٩٠ ـ ٧٦٢ هـ) على ما فات المزي في (تهذيب الكمال) في كتاب سماه (اكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال) في (١٣) مجلدا ، انظر معجم المؤلفين ص ٣١٣ جـ ١٢ ولخص تهذيب الكمال وأضاف عليه محمد بن علي الحسيني انظر الأعلام ص ١٧٧ جـ ٧ .

(٢) وهو في خمسة اجزاء مخطوطة ، يوجد منها في دار الكتب المصرية الأجزاء (١و٢و٣و٥) وهي نسخة مقابلة ، ومصححة في حياة المؤلف سنة ٧٣٦ هـ أوراقها على التوالي : (٢٢٠/٢٤٨/٢٠٧/١٩٩) ورقة ومسطرتها مختلفة . وللحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي (المتوفى بعد سنة ٩٢٣ هـ) كتاب (خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال) طبع بمصر سنة (١٣٠١) في مجلد .

(٣) انظر النسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩ مصطلح) في مجلد عدد أوراقه (٢١٣) ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرا : ٢٧ × ٨سم ، وتوجد نسختان أخريان .

جمع فيه بين الحوادث والوفيات ورتبه على السنين ، فابتدأه من الهجرة النبوية ، وانتهى فيه إلى آخر سنة (٧٠٠ هـ) وقسمه إلى سبعين طبقة ، وجعل كل طبقة عشر سنين ، ورتب أسماء كل طبقة على ترتيب حروف المعجم ، والحوادث على السنين في ست وثلاثين مجلدا[١] ، طبع منها في مصر خمسة أجزاء سنة (١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م) .

واختصر الذهبي من تاريخه مختصرات منها (سير أعلام النبلاء) في أربعة عشر مجلدا[٢] ، طبع منها الجزءان الأول والثاني بمصر سنة (١٩٥٧م) والثالث سنة (١٩٦٢ م) .

٢٠ — (التذكرة برجال العشرة) لمحمد بن علي بن حمزة الحسيني الدمشقي (٧١٥ — ٧٦٥ هـ) ، ضم في كتابه هذا إلى من (في تهذيب الكمال) لشيخه المزي من في الكتب الأربعة : الموطأ ومسند الشافعي ومسند أحمد ومسند أبي حنيفة الذي خرجه الحسين بن محمد بن خسرو من حديث أبي حنيفة ، واقتصر على من في الكتب الستة دون من أخرج لهم مصنفوها في مصنفاتهم الأخرى كالأدب المفرد للبخاري[٣] ...) .

٢١ — (تهذيب التهذيب) للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ — ٨٥٢ هـ) وفيه لخص (تهذيب الكمال) للمزي

---

(١) انظر الأعلام ص٢٢٢ ج٦ ، ويوجد منه في دار الكتب المصرية (٣٤) مجلدا مخطوطا .

(٢) انظر الرسالة المستطرفة ص١٠١ ، وفي دار الكتب نسخة مصورة منه .

(٣) انظر مقدمة تعجيل المنفعة . وكان ابن حجر قد اطلع على الكتاب وتتبع ما في كتاب الغرائب عن مالك وما في معرفة السنن والآثار للبيهقي من الرجال الذين وقع ذكرهم في روايات الشافعي مما ليس في المسند وما في كتاب الزهد للامام أحمد مما ليس في مسنده وما في كتاب الآثار لمحمد بن الحسن وسماه (تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة) طبع بالهند سنة ١٣٢٤ هـ .

وزاد عليه فوائد كثيرة ، وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٥ – ١٣٢٧ هـ) فى اثنى عشر مجلدا ، ويعتبر (تهذيب التهذيب) من أجمع كتب تراجم رواة الحديث المتداولة بين العلماء فى هذا العصر ، وأصبحت نسخه نادرة وعزيزة ، وقد لخصه ابن حجر فى مجلد واحد سماه (تقريب التهذيب فى أسماء الرجال) طبع بالهند سنة (١٣٢٠ هـ) ثم طبع سنة (١٣٥٦ هـ) مع تعقيب التقريب للمولوى أمير على[١] .

٢٢ – (إسعاف المبطأ برجال الموطأ) للحافظ جلال الدين السيوطى وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٠ هـ) .

* * *

(ب) كتب الطبقات :

وهى الكتب التى جعل مصنفوها الرجال على طبقات ، وذكروا أحوالهم طبقة بعد طبقة إلى عصر المؤلف وقد جمعت نيفا وعشرين مؤلفا فى موضوعنا . أقتصر على ذكر أشهرها .

١ – (الطبقات الكبرى) للمؤرخ الثقة محمد بن سعد بن منيع الحافظ كاتب الواقدى (المولود سنة ١٦٨ هـ والمتوفى سنة ٢٣٠ هـ) . فقد صنف سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم ترجم للصحابة على طبقاتهم ، فالتابعين ، فمن بعدهم إلى وقته ، فأجاد وأحسن ، ويعتبر كتابه هذا من أوثق وأهم المصادر الإسلامية فى التاريخ والرجال

---

(١) كما طبع على هامش (التقريب) كتاب (المغنى فى أسماء رجال الحديث) للعلامة محمد بن طاهر بالهند سنة (١٢٩٠ هـ) وهناك طبعات أخرى وظهرت أخيرا طبعة جيدة لتقريب التهذيب طبعت فى القاهرة سنة (١٣٨٠ هـ) .

وقد طبعت الطبقات بمدينة ليدن سنة (١٣٢٢ هـ) فى ثلاثة عشر مجلدا خصص الأخير منها للنساء ، وَوُضعَ لكل من ترجم لهم ابن سعد فى المجلد الرابع عشر فهرس عام ، مما يسهل الرجوع إليه . ولابن سعد أيضا طبقات صغرى ثانية وثالثة[١] .

٢ — (طبقات الرواة) فى ثمانية أجزاء[٢] للحافظ أبى عمرو خليفة بن خياط الشيبانى العصفرى (— ٢٤٠ هـ) أحد شيوخ البخارى .

٣ — (طبقات التابعين) للامام مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٠٤ — ٢٦١ هـ[٣]) .

٤ — كتاب (التابعين) فى اثنى عشر جزءا ، للحافظ محمد بن حبان أبى حاتم البستى ، (٢٧٠ — ٣٥٤ هـ) وله (اتباع التابعين) و (تباع التبع) كلاهما فى خمسة عشر جزءا[٤] . و (الطبقات الأصبهانية[٥])

٥ — (طبقات المحدثين والرواة) لأبى نعيم . أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانى (٣٣٦ — ٤٣٠ هـ[٦]) .

٦ — (طبقات الحفاظ) للحافظ شمس الدين الذهبى (٦٧٣ — ٧٤٨ هـ)

---

(١) انظر الطبقات الكبرى فى قسم الإرشاد فى دار الكتب المصرية ، وانظر الرسالة المستطرفة ص ١٠٤ .

(٢) الأعلام ص ٣٦١ جـ ٢ ويوجد فى دار الكتب المصرية جزء من نسخة فيه من سكن المدينة من الصحابة والتابعين فى (٢٠٩) ورقات ، مسطرتها بين ٢١و٢٢ سطرا : ٢٩ × ٢٠سم نقلا عن نسخة قديمة ترجع إلى القرن الرابع الهجرى ، محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، ونسخة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٧٥ ؛ مصطلح) .

(٣) معجم المؤلفين ص ٢٣٢ جـ ١٢ .

(٤) الأعلام ص ٣٠٦ جـ ٦ .

(٥) معجم المؤلفين ص ١٧٣ جـ ٩ .

(٦) الأعلام ص ١٥٠ جـ ١ .

ترجم فيه رواة الحديث من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن تلاهم إلى عصره وجعلهم على احدى وعشرين طبقة ، طبع فى أربعة أجزاء بالهند ،ويعتبر من أنفس كتب الطبقات[1] .

٧ – (طبقات الحفاظ) لجلال الدين السيوطى (٨٤٩ – ٩١١ ﻫ) ذكر فيه تراجم الحفاظ موجزة وقد طبع سنة (١٨٣٣ م) بغوطا .

وغير هذه الكتب كثير ، مما ألف فى طبقات علماء المذاهب ، وطبقات حفاظ البلدان ككتاب المحدثين بأصبهان والواردين عليها لعبد الله محمد الأصبهانى ، وطبقات علماء أفريقيا لأبى العرب محمد بن أحمد التميمى المغربى الإفريقى ، وغير ذلك .

• • •

ثالثا : كتب فى معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب :

وكما صنف العلماء تراجم الرواة وأحوالهم ، رأوا أن يصنفوا ما يضبط أسماء الرواة لدفع الالتباس ، ومنع الوقوع فى الخطأ بسبب تشابه أسماء الرجال وكناهم وأنسابهم ، فصنفوا كتبا كثيرة فى الكنى والألقاب والأنساب ، وهذه الكتب أكثر من أن تحصى ، وقد جمعت منها نيفا وثلاثين كتابا ، سأذكر أشهر ما ألف فى الأسماء والكنى والألقاب ، ثم أتبعها بأشهر كتب أنساب الرواة .

---

(١) انظر هذه النسخة فى قسم الارشاد من دار الكتب المصرية باسم (تذكرة الحفاظ) .